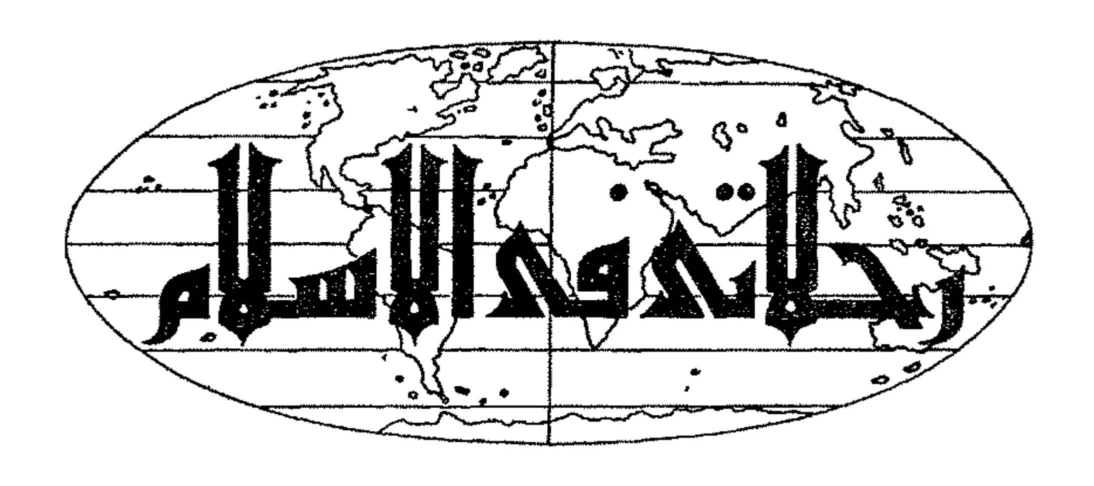

الشيخ
محمود الحصري
شيخ القراء والمقارئ
والمستشار الفني بوزارة الأوقاف
وخبير مجمع البحوث الإسلامية لشئون القرآن
الطبعة الثانية



محمود خليل الحصرى

شيخ عموم المقارئ
والمستشار الفنى لشئون القرآن بوزارة الأوقاف
ورئيس اتحاد قراء العالم الإسلامى (اقرأ)

مطابع شركة الشمرلى ت ٨٢٢٧٨٨ بالعباسية

بسم الله الرحمن الرحيم

« يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ . . . »

[صدق الله العظيم

قال صلى الله عليه وسلم :

« أَفْضَلُ الصَّدَقَةِ أَنْ يَتَعَلَّمَ الْمَرْءُ الْمُسْلِمُ عِلْمًا ثُمَّ يُعَلِّمَهُ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ »

[صدق رسول الله]

إهـــداء

إلى من يستمعون القول فيتبعون أحسنه .

أهدى هذا الجهـــد المتواضع ... راجياً منه وجه الله سبحانه وتعـــالى ... عليه توكلت ... وإليه أنيب ؟



تقـــديم

يقول الله سبحانه وتعالى :

« فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ، ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ » (1)

هكذا الإسلام دين قيم تهتدى إليه النفس بفطرتها دون تعلم ، أو جهد ، أو معاناة ، لما فيه من بساطة ويسر ، ووضوح .

مبادئه عادلة راعت حقوق الإنسانية فى أسمى معانيها ، ظهرت آثارها الطيبة فى الرعيل الأول من المسلمين ، هؤلاء الذين جعلوا كلمات الله البينات نبراسهم فى كل نواحى الحياة ، فلم يضلوا أبداً سواء السبيل ، وعاشوا على الخير ترفرف عليهم ألوية المحبة والسلام .

بل جعلوا الداخلين فى زمرة الإسلام ممن وصلتهم تعاليمه آنذاك ـ سواء عن طريق الرحلة ، أو المخالطة ، أو الدعوة المباشرة ـ مطمئنة قلوبهم راضين مستبشرين لأنهم لمسوا الخير فى اتباعه ، ورأوا حسن سيرة المسلمين فيهم . ذلك لأن الإسلام دعوة حق ، وإنسانية وفطرة ووضوح ، وسعت مبادئه ، ومثله العليا كل من يطلب الحق والهداية ، ويؤمن بالله رب العالمين .

---

(1) سورة الروم الآية ٣٠ .

تقول الآية الكريمة :

« أَفَمَنْ شَرَحَ اللهُ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ ، فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللهِ ، أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ [1] »

* * *

ولقد كان طبيعياً أن يدعو الإسلام إلى كل ماهو خير وصلاح للانسانية جمعاء تقول الآية الشريفة :

« ...... مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ...... [2] »

لذا دعى الإسلام ـ دين الله القويم ـ فيما دعى إلى الحركة ، والضرب فى شعاب الأرض سعياً وراء الرزق ، والعلم ، والدعوة إلى المحبة والسلام .

تؤكد كلمات الله البينات تلك المعانى ، كما تؤكدها كلمات رسوله ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ وأيضاً كلمات الصحابة رضوان الله عليهم ، وكلمات الحكماء من بعدهم .

يقول سبحانه وتعالى فى محكم آياته :

« قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ [3] »

« فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللهِ وَاذْكُرُوا اللهَ كَثِيراً لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ [4] »

---

(١) سورة الزمر ... الآية ٢٢
(٢) سورة الأنعام ... الآية ٣٨
(٣) سورة الزمر ... الآية ٩
(٤) سورة الجمعة ... الآية ١٠

« فَلَوْلاَ نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ ، وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُو إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُون[1] »

« هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولاً فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ ، وَإِلَيْهِ النُّشُور[2] »

* * *

عن أبى هريرة ـ رضى الله تعالى عنه ـ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« لو يعلم الناس رحمة الله للمسافر لأصبح الناس على ظهر سفر ، وهو ميزان الأخلاق إن الله بالمسافر رحيم » .

وعن أبى هريرة أيضاً قال : كان النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ إذا سافر قال :

« اللهم أنت الصاحب فى السفر ، والخليفة فى الأهل » .

« اللهم إنى أعوذ بك من وعثاء السفر ، وكآبة المنقلب ، وسوء المنظر فى الأهل والمال » .

« اللهم اطو لنا الأرض ، وهون علينا السفر » .

* * *

---

(١) سورة التوبة ... الآية ١٢٢ (٢) سورة الملك ... الآية ١٥

وقال حكيم السفر يسفر عن أخلاق الرجال .

وكان بعضهم يريد السفر فيمنعه والده إشفاقاً عليه ... قيل :

ألا خلني أمضى لشانى ولا أكن
على الأهل كلا إن ذا لشديد
تهيبنى ريب المنون ولم أكن
لأهرب عما ليس منه محيد
فلو كنت ذا مال لقرب مجلسى
وقيل إذا أخطأت أنت رشيد
فدعنى أجول الأرض عمرى كله
يسر صديق أو يغاظ حسود

وقال المأمون : إنه لا شيء ألذ من السفر فى كفاية وعافية لأنك تحل كل يوم فى محلة لم تحل فيها ، وتعاشر قوما لم تعرفهم .

وأخيراً يقول الإمام الشافعى ـ رضى الله تعالى عنه ـ :

سافر تجد عوضاً عمن تفارقه
وانصب فان لذيذ العيش فى النصب
إنى رأيت وقوف الماء يفسده
إن سال طاب وإن لم يجر لم يطب
والشمس لو وقفت فى الفلك دائمة
لملها الناس من عجم ومن عرب

* * *

كان هذا كله ما حرى بالرحالة العرب منذ فجر التاريخ الإسلامى إلى العمل

الدائب على نشر لواء الإسلام وتعاليمه فى كل أرض وطأتها أقدامهم . بقصد السعى وراء الرزق حيناً ، والرحلة والمشاهدة حيناً آخر .

ومع أن جهودهم فى هذا المضمار كانت جهوداً تتسم بالفردية إلا أنهـــا مهدت الطريق أمام الدعاة إلى الدخول فى دين الله أفواجا .

حدثتنا كتب التاريخ والسير عن أخبار الـكثيرين من هؤلاء الرجال ، الذين قطعوا شوطاً كبيراً من حياتهم يجولون فى شتى الأقطار والأمصار ، وما كان لهم من شأن فى نشر الإسلام وتعاليمه ، والتعريف بقيمه ومبادئه على أوسع نطاق .

ولعل من أشهر هؤلاء الرحالة العرب المسلمين أبو القاسم بن حوقل ، وعبد الله بن أحمد بن سليم الأسوانى اللذان كان لهما باع كبير فى العمل على نشر الإسلام فى القرن الرابع الهجرى فى ربوع الأراضى السودانية ، وما جاورها من بلاد الحبشة والصومال وغيرها .

كذلك ابن بطوطه فى القرون الوسطى ، ورحلاته المشهورة حول العالم الإسلامى من أقصاه إلى أقصاه .

وفى العصر الحديث ظهرت رحلات أحمد فارس الشدياق ، وأمين الريحانى وغيرهم ، كما ظهرت أيضاً رحلة رفاعة الطهطاوى إلى باريس فى كتابه المعروف باسم « تخليص الابريز فى تلخيص باريس » .

* * *

ومما لا شك فيه أن هؤلاء الرحالة كانوا وما يزالوا خـــير رسل لنشر الثقافة الإسلامية ، وحمل الدين الإسلامى إلى ما وصلوا إليه من بقاع بعيدة ، وأقطار نائية . . فما منهم إلا وعالم أو فقيه أو متحدث كل حسب ما يحمل بين ظهرانيه من أسباب العلم والمعرفة .

هكذا الرحلة والأسفار منذ أقدم العصور وحتى يومنا هذا .

* * *

غير أن جمهوريتنا العربية المتحدة ـ قلب الإسلام النابض ـ أخذت على عاتقها دعوة صدق ، ابتغاء وجه الله ومرضاته ، وخير المسلمين ونفعهم .

فثورتها المباركة ثورة يوليو من عام ١٩٥٢ ، كانت ثورة دينية أيضاً إذ حررت الدين الإسلامى من سيطرة الرجعيين . وأصبح العلماء مزودين بعلوم الدين ، والدنيا معاً ، قادرين على اختراق الآفاق للتبشير بالإسلام الحق .

سلاحهم فى ذلك الثقة بالله ، والوطن ، والزعيم المؤمن جمال عبد الناصر الذى يقول :

« إن رسالات السماء كلها فى جوهرها كانت ثورات إنسانية استهدفت شرف الإنسان ، وسعادته ، وإن واجب المفكرين الدينيين الأكبر هو الاحتفاظ للدين بجوهر رسالته »

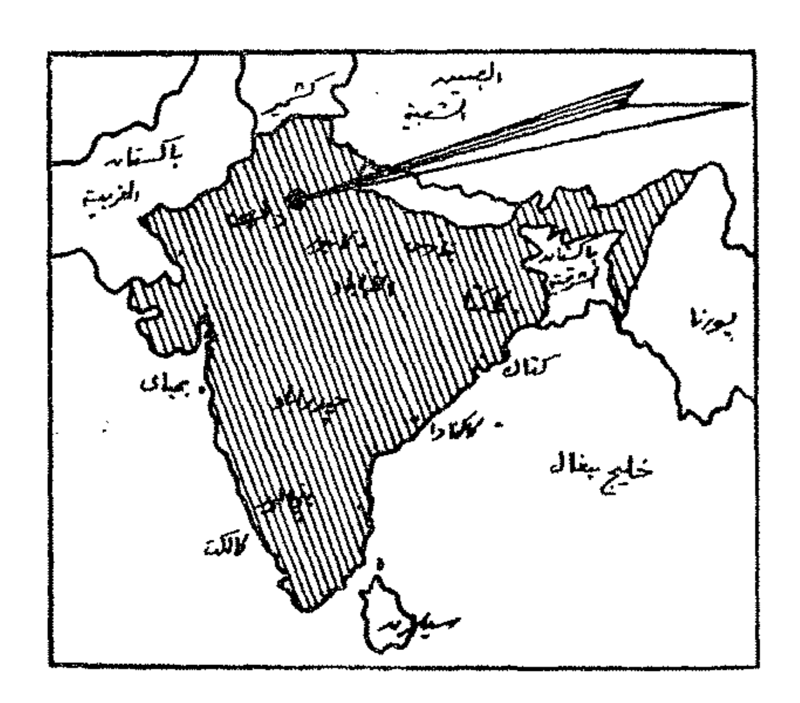
---

* * *

ولقد كان لى الشرف أن أجول أغلب بلدان العالم الإسلامى (سواء منها العربى اللغة أو الإسلامى ، لكن لغته ليست اللغة العربية) ، مبعوثاً من وزارة الأوقاف بجمهوريتنا العربية التى تحرص كل الحرص على إيفاد البعثات الدينية لتعليم اللغة العربية ، وعلوم القرآن الكريم والحديث الشريف ، كما أنها تحرص أيضاً على أن تبعث بأشهر القراء والعلماء إلى كل البلاد الإسلامية لتلاوة القرآن الكريم ، ومدارسته طيلة ليالى شهر رمضان المعظم تيمناً به وإجلالا له ، فهو شهر كريم أنزل فيه القرآن هدى للناس ، وبينات من الهدى والفرقان .

فليكن جهدنا المتواضع هذا شمعة على طريق التعريف باخوة لنا جمعتنا وإياهم صلة لا تنفصم عراها . . . ألا وهى صلة شهادة أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ﷺ

الهند



« وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ
وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ
لَآيَاتٍ لِلْعَالِمِينَ » (١)

فى إحدى الأعوام سافرت إلى بلد وهو إن لم يكن مسلماً كله ، إلا أن المسلمين فيه يشكلون طوائف متعددة يزداد عددهم يوما بعد يوم ، وعاما بعد عام ، وهم الآن قوة لها شأنها فى بناء كيان الأمة كلها ، فقد أصبح لهم حقوق فى تولى المراكز القيادية فى الدولة والتمثيل فى مجلس النواب .

وأيضاً أصبح لهم عدد من الوزراء فى كل وزارة بل ويتولى الآن رئاسة الجمهورية واحداً منهم . . . إنه الهند . . .

لمحـــة من التاريخ :

لقد ورث أبناء الهند الإسلام عن أجدادهم منذ هجرة التجار العرب من شبه الجزيرة العربية إلى السواحل الهندية بغية التجارة التى كان من نتائجها . أن تولدت بين أهالى هذه البلاد ، وبين العرب المهاجرين ــ على مر الأيام ــ علاقات اجتماعية (كانت المصاهرة أهم دعائمها) أدت إلى خلق جيل جديد هندى الجنس عربى السمات والتقاليد اقتنع بالإسلام ديناً له .

ويقال أيضاً : أن الهنـــد ارتبطت بالعالم العربى منذ أيام نبي الله سليمان ــ عليه السلام ــ .

---

(١) سورة الروم . . الآية ٢٢

وفى أواخر القرن الثانى للميلاد انتشر المسلمون على ساحل الهنـــد الغربى كله .

كذلك فى عهد سيدنا عمر بن الخطاب ـ رضى الله تعالى عنه ـ .

وفى أيام معـاوية بن أبى سفيان كان للهنـــد علاقة بالعرب المسلمين آنذاك .

وهكذا توالت العلاقات التجارية بين العرب ، وبين أهل الهند .

يروى السعودى مشاهداته عام ١٩٥٦ للميلاد فيقول .

« إن عشرة آلاف مسلم من سيراء ، وعمان ، والبصرة ، وبغداد استقروا فى مدينة (سيمور) بالقرب من بنباى ، واستوطنوها حتى أصبحوا يعرفون فيها بالبياصرة » .

وكان أيضاً للرحالة العربى المسلم بن بطوطه القدح المعلا فى وصف الهند وطوائفه الدينية المختلفة و نشر مبادىء الدين الإسلامى الحنيف ، واتساع رقعة الدعوة إليه فيقول :

« إن ملوك الهندوس كانوا يتجنبون كل ما من شأنه أن ينفر العرب منهم لأن قسطاً كبير من ثروتهم كان يتوقف على تجارتهم مع العرب » .

حقائق ومشاهـــدات :

كانت علاقة الهند بالعرب منذ أقدم العصور ، علاقة التجارة أولا ، ثم علاقة الألفة الدينية التى جعـــلت من الإسلام ديناً يعتنقه كثير من أهل الهند ، حتى إنك لو زرت إحدى المدن الهندية أحسست الروح العربية الإسلامية ظاهرة فى كثير من آثارهم القديمة .

فهنالك مثلا المدن التى لا زالت تحمل الاسمـاء العربية مثل : مدينة المحفوظة التى يرجع تاريخ بناؤها إلى أيام حكم بن عوانة الكلبى ، الذى بنى أيضاً مدينة أخرى تسمى « بالمنصورة » ، والجامع المسمى « جمعة مسجد » ، والمنارة المسماة « قطب منـــار » كما بنى كذلك فى مدينة اجنير الجامع المنسوب إليه .

* * *

ولو أنك تجولت داخل إحدى المقاطعات الهندية لرأيت المظاهر الإسلامية فى المدارس ، والمعاهد الدينية ــ فمنذ أن أسست المدرسة البيهقية فى هيشابور عام ٣٨٤ للهجرة ، وحتى يومنا هذا ترى المدارس الإسلامية تحتفظ بطابعها ، فهى عادة ما تتـكون من مسجد ومكتبة وقاعات للمحاضرات ، وأماكـن للسكن .

أخبرنى أحد أعضاء جمعية علماء الهند أنه كان فى مدينة دلهى منذ زمن بعيد سبعة عشر مدرسة ، وفى البنجاب أربعة مـــدارس وفى آجر خمسة عشر مدرسة عدى المدارس الأخرى المنتشرة فى كل المدن الهنـــدية .

ومن أشهر المدارس التى رأيتها ، ولا زالت حتى اليوم تحمل الطابع العربى الإسلامى ، مدرسة الناصرية فى مدينة دلهى التى بنيت عام ٦٣٥ للهجرة ، ومدرسة الحوض ومدرسة فيروز شاه ، ومدرسة الرحيمية ، والمدرسة التى بنتها بيبى راجا بيجوم عام ٨٥٦ للهجرة فى مدينة جونبور ، والتى تعد من أشهر دور العلم هنـــاك .

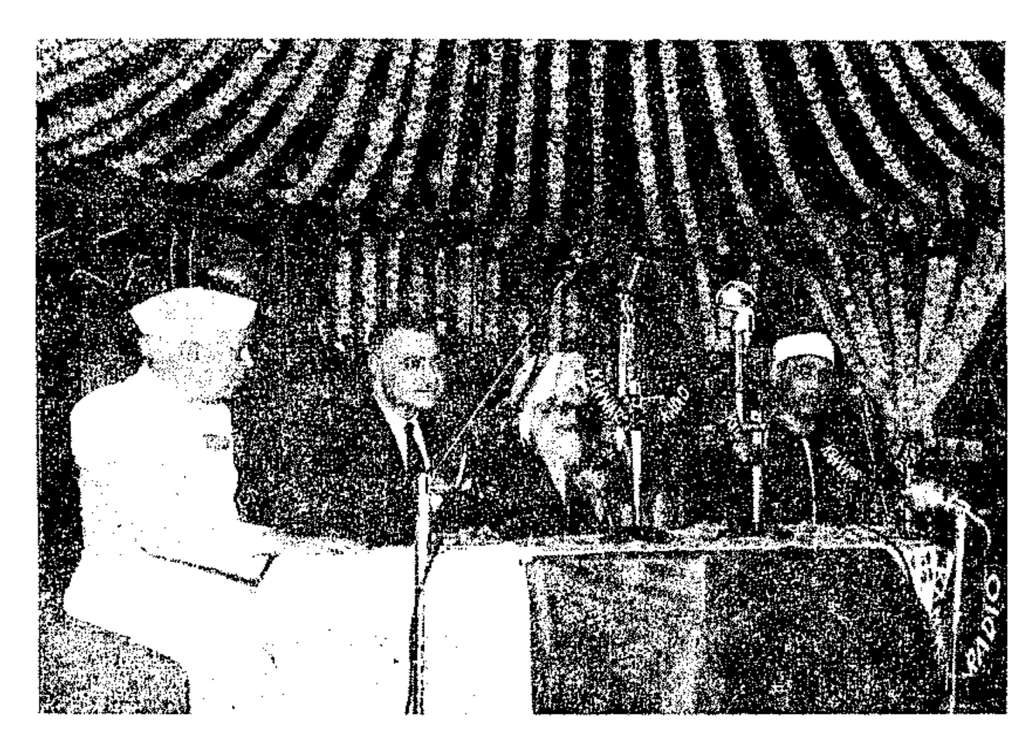
كما شاهدت أيضاً مدينة « لكـناو » التى بها أشهر مدرسة إسلامية فى شبه القارة الهندية ، والتى تسمى بمدرسة « فرانجهيل » .

* * *

ولا زالت بالهند حتى اليوم الجامعات ، والمعاهد الإسلامية التى يدرس فيها الطلاب العلوم الاسلامية مثل جامعة « عليكرة » التى أسسها المغفور له السيد أحمد خان عام ١٨٧٥ للميلاد على شكل مدرسة أخذت تنمو مع الزمن حتى أصبحت كلية من الطراز الأول .

ولم يكد ينتقل مؤسسها إلى رحمة الله عام ١٨٩٨ للميلاد حتى بذلت الجهود لرفعها إلى مرتبة الجامعة . . . وفى ديسمبر عام ١٩٢٢ من الميلاد أصبحت جامعة مركزية رسمية ، وذلك على أثر صدور قانون جامعة عليكرة الاسلامية .

(ومما هو جدير بالذكر أن السيد الرئيس جمال عبد الناصر قد شرفها بالزيارة عام ١٩٦٠ من الميلاد ، وأهدت هيئة الجامعة سيادته درجة الدكتوراه الفخرية ـ ويومها كان لى شرف حضور هذا الحفل وافتتاحه بما تيسر من



(سيادة الرئيس جمال عبد الناصر والشيخ فخر الدين رئيس جمعية علماء الهند المركزية أثناء إحدى الإحتفالات بزيارة الرئيس للهند)

آيات الذكر الحكيم - كما أقامت جماعة العلماء بالهند حفلات عديدة فى كل مدينة تشرفت بزيارة سيادة الرئيس ، وكانوا حريصين كل الحرص على أن تفتتح هذه الحفلات بتلاوة القرآن الكريم .

ولقد طالعت الفرحة ، والتقدير على وجوه كل المحتفلين بزيارة سيادة الرئيس جمال عبد الناصر ، فهم يعتبرون سيادته الزعيم العربى المخلص الذى جاهد ، ويجاهد دائماً فى سبيل رفع لواء العلم ، والمعرفة ، وجعل كلمة الله هى العليا وكلمة الذين كفروا هى السفلى .

بل ويعدونه أيضاً أمل كل من يحارب من أجل حريته ، وكرامته ، فهو الذى أزال عن بلاده الظلم ، والفساد ، والاستعمار الذى ران عليها أمداً طويلا) .

* * *

ومما رأيته ايضاً أثناء رحلتى هذه الجامعة العثمانية التى أسست عام ١٩١٨ للميلاد.

قال لى أحد العلماء عنها :

« إنها جامعة فريدة فى نوعها لأن المواد العلمية ، والأدبية تلقن فيها بلغة هندية هى النتاج الفنى المشترك لاتصال المسلمين بالهندوس » .

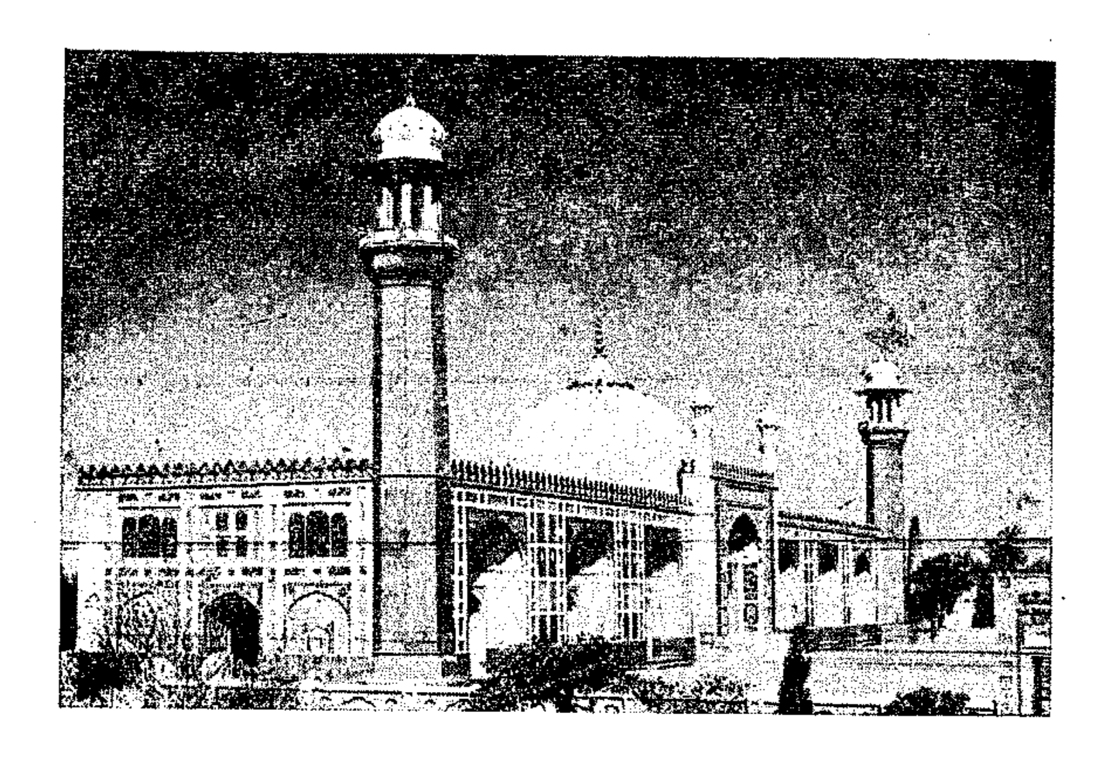
وفى مدينة « ديوبند » رأيت معهداً إسلامياً نموذجياً يعرف باسم « دار العلوم » يدرس فيه الحديث ، والتفسير ، والشريعة الاسلامية ، وأصول الفقه .

(استرعى انتباهى أن أرى السمة المصرية على وجوه من يقوم بتدريس هذه المواد من أساتذة ، سألتهم : إذا بهم من أبناء الجمهورية العربية المتحدة ، والأزهر الشريف) .

وهناك أيضاً رأيت مدرسة إسلامية على نمط المدرسة السابقة تسمى (المدرسة القاسمية) فى مدينة « مراد أباد » .

ولو أنك زرت الأماكن الأثرية فى الهند لوقفت حقاً على مدى ما كان من علاقة بين الهنود ، والعرب منذ فجر التاريخ الاسلامى ، فقد تأثروا بالفنون الاسلامية المختلفة ، وكان تأثرهم أعظم فى بناء مساجدهم ومعاهدهم ، فلا يزال الناظر إليها يحس بالطابع العربى الاسلامى ، فمثلا : (مغارة القطب) التى تقع إلى جانب العاصمة الهندية آية فى الفن المعارى ، كذلك قباب المسجد الجامع فى عليكرة ، ومئذنة المسجد الجامع فى دلهى .

على أن أعظم ما ينطق بالفن المعارى التأثرى مقبرة (تاج محل) بمدينة (آجرا) أو (باكرا) كما يسمونها — والتى قيل أن البناء استمر فيها ٢٢ عاما — وهى محط أنظار كل زائرى الهند من كافة بقاع الأرض ، لما لها من شهرة عالمية بين الآثار الهندية القديمة .



(مسجد تاج محل الشهير)

ومما شاهدته أيضاً مسجد (شاه حمدان) ذو الطابقين ، والمسجد الجامع بسريناجار ، وهما يضمان آثاراً للفن الاسلامى فى الحفر على الخشب غاية فى الاتقان والروعة .

عادات وتقاليد :

لو أنك زرت إحدى المدن الهندية فى إحدى المناسبات الدينية لرأيت المسلمين فيها ، وهم يحتفلون ـ فهم حريصون دائماً على الاحتفال بكل عيد إسلامى أو مناسبة دينية خاصة (كليلة المولد النبوى الشريف) فهى عيد عند مسلمى الهند ، يتبادلون فيها التهانى والزيارات . .

ولقد زرت الهند لا قاصداً المشاهدة ، إنما قارئاً طيلة ليالى شهر رمضان المعظم مبعوثاً من وطننا الحبيب الجمهورية العربية المتحدة حصن الاسـلام الحصين . . . استقبلتنى الطوائف المسلمة هناك بالترحاب مدة إقامتى بينهم ، رأيتهم وكيف يستقبلون الشهر الكريم بالفرح والابتهاج فى كل مكان .

فالمساجد الهندية تتحول إلى شعلة من الأضواء تقام فيها الصلوات ، ودروس العلم ليلا ونهاراً ، ترى البشر يعلوا حتى على وجوه الأطفال عندما يتجمعون حول هذه المساجد ، حيث ينثرهم المصلون بالتمر ، والحلوى عقب صلاة التراويح أيام الشهر المبارك .

ومن العادت الرمضانية التى رأيتها هناك أنهم يؤخرون الافطار إلى مابعد صلاةالمغرب ، وعادةمايبدأون إفطارهم بتناول حبات من التمر سنة عن النبي ﷺ

ومن المظاهر الكريمة التى رأيتها أيضاً احترام الحكومة الهندية للشعائر الاسلامية فهى تراعى أوقات العمل بالنسبة للمسلمين طيلة شهر رمضان كذلك تهيىء المدافع لتضرب مؤذنة للافطار ، والسحور فى كل مدينـة تأهل بالمسلمين .



(المسلمون الهنود فى انتظار مدفع الإفطار)

والمسلمون الهنود يحتفلون بليلة القدر ليلة السابع والعشرين من رمضان ، ترى الاحتفالات فى كل منزل إسلامى ابتداء من ليلة القدر وحتى نهاية الشهر ،

كذلك تقيم كل طائفة من طوائف المسلمين فى كل مدينة حفل يدعى إليه الحاكم والأعيان .

وفى جامعة عليكرة يقام حفل إسلامى كبير ليلة السابع والعشرين من الشهر تبركا بنزول القرآن الكريم يقرأ فيه القرآن ، وتتبادل التهانى ، كما يقام داخل مسجد الجامعة حفل يومى يدعى إليه المسلمون من كل أنحاء الهند لتناول الافطار ، وسماع القرآن الكريم ، ومدارسته طيلة أيام الشهر .

وأحسن ما رأيت من عادات مسلمى الهند أنهم يتلون القرآن كله فى صلاة التراويح مرتين طيلة الشهر ، ومنهم من يتلوه ثلاث مرات يقرأه عادة الامام بالمصلين ثلاثة أجزاء كل ليلة ، ويسمى قارىء القرآن — أى الامام — (الحافظ فلان) .

ومما زاد فى سرورى أنى رأيت فى إحدى المدن (تسمى حيدر أباد) كثير من النساء يقرأن القرآن الكريم بالقراءات السبع ، والعشر فى المصاحف ، وفيهن من يحفظنه عن ظهر قلب ، كما نحفظه نحن فى بلادنا .

ورأيت عادة فريدة فى نوعها ، فمسلمى الهند يقيمون كل ليلة من ليالى شهر رمضان ثلاث حفلات يتلى فيها القرآن الكريم :

إحداها قبيل الافطار .

والثانية بعد صلاة التراويح .

أما الثالثة فقرب منتصف الليل ، وتستمر حتى موعد السحور .

يعلن عن هذه الحفلات فى الاذاعة والصحف ، كما توزع إعلانات عديدة فى الأماكن المجاورة تحمل مواعيد ، وأماكن هذه الحفلات ، وهى عادة ماتقام فى الميادين العامة ، والمساجد الكبيرة كى تسع تلك الأعداد الهائلة التى تفد إليها

من كل أنحاء المدن المجاورة (فقد يبلغ عدد الحاضرين فى الحفل الواحد حوالى مائة ألف مستمع) .



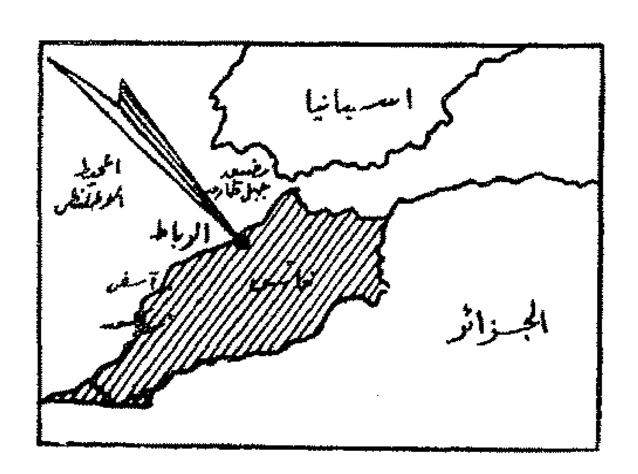
السيد/ زاكر حسين رئيس جمهورية الهند وهو يستمع لتلاوة القرآن الكريم
فى إحدى الحفلات الرمضانية

* * *

هكذا رأيت الهند .

وهكذا رأيت مظاهر إسلامية توارثتها الطوائف الهندية المسلمة منذ أقدم العصور لا تراها سوى أيام شهر رمضان المعظم تبركا به وعرفانا بما للاسلام من جلال ، ونور ينثره الله سبحانه على كل من آمن برسالة محمد ﷺ خاتم الأنبياء والمرسلين . . . وحاول جاهداً وضع حجر فى بناء صرح الدعوة الاسلامية الخالدة ... فالله جلت قدرته خلق الناس جميعاً من ذكر وأنثى ، وجعل بينهم الاسلام مودة ، ورحمة ، والتقوى هى الأساس الوحيد الذى يكرم بها المسلم على أخاه المسلم ... لا اللون ... ولا الجنس . فالكل أمامه ـ سبحانه وتعالى ـ سواسية كأسنان المشط لا فضل لعربى على عجمى إلا بالتقوى ، والعمل الصالح .

المغرب



« إِنَّ هٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِى هِىَ
أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ
الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْراً كَبِيراً »[1]

كنت معكم حيث كانت نهاية رحلتى إلى ذلك البلد البعيد الذى عرف الاسلام طريقه إليه منذ أجيال عديدة ... ألا وهو الهنـد ، وفى العام الماضى كانت رحلتى إلى البلد العربى الأصيل المغرب الأقصى أو (مراكش) كما يسمونها .

لمحة من التاريخ :

لنقف سويا على أخبار الرحلة من بدايتها .

المغرب يحتل الجناح الغربى للعالم العربى ، فهو يقع فى شمال غربى أفريقيا ، يحده شرقاً بلاد الجزائر ، وغرباً المحيط الأطلسى ، وشمالا بوغاز جبل طارق ، والبحر الأبيض المتوسط ، وجنوباً الصحراء الكبرى .

كانت الرحـلة ممتعة حقاً ، فما أن اقتربت الطائرة من أرض المطار حتى أحسست أنى أقرب ما أكون فى زيارة لمدينة الأسكندرية بجمهوريتنا الفتية.

استرعى إنتباهى أنى رأيت جبـلا على كسب ، سألت المرافق الذى أخذ يشرح لى :

إن هناك فى المغرب سلسلتان من الجبال أولاهما :

---

(١) سورة الإسراء ... الآية ٩

سلسلة جبال الريف ، وهى متوسطة الارتفاع ، وثانيتهما : سلسلة جبال الأطلس المشهورة ، وهى أكثر ارتفاعا من سلسلة الريف ، ويفصل بينهما ممر يسمى ممر (تازة) ، كما أن هناك السهول التى تقترب من هذه السلاســـل الجبلية كالسهل الغربى الشاسع الذى يمتد من مدينة الرباط إلى مدينة مراكش ، ثم السهل الشمالى الذى يمتد ما بين مدينتى فاس فى الداخل ، والمهدية على ساحل المحيـــط :

والجو هناك فى أيام الشتاء شديد البرودة ، شديد الرطوبة ، ولـكنهم يؤكـدون أن جو المغرب معتدل شديد الاعتدال خاصة فى الصيف :

ولقد استقبلت كأحسن ما يكون الاستقبال فشعب المغرب عربى التقاليد والعادات يتسم بالنخوة ، والشهامة العربية ، وهذا يدعونا أن ننقل لـكم تاريخ دخول الاسلام هذه البقعة من القارة الأفريقية مهد الحضارات ، كما حدثنى به أحد العلمـاء رداً على سؤال لى قال :

إن ارتباطنا بالاسلام يؤرخ له منذ فتح العرب مصر حيث اتجهوا إلى بلاد الشمال الأفريقى ، وفتحوا معظمها .

فى سنة ٦٢ للميلاد توغل عقبة بن نافع (مؤسس مدينـــة القيروان) بالجيوش الاسلامية فى الأراضى المغربية .

بيد أن نجاح الفتح العربى للمغرب لم يتم إلا على يد موسى بن نصير ، الذى يعتبر الفاتح الحقيقى للمغرب ، والذى بدأ يدبر أمر المدن المفتوحة ، وينشر الدين الاسلامى بين القبائل .

ولقد نجح فى ذلك نجاحاً كبيرا ، واستطاع بما له من دراية واسعة فى قيادة الجماهير ، ونباهة فى إدارة السلطنة كما تقول ــ كتب التاريخ والسير ــ أن

يمزج الأجناس بعضها ببعض ويحسن المعاملة ، ويطبق حكم المساواة فلا فضل إلا بالتقوى ، والجهاد في سبيل الله ، وإقامة الحدود .

بذلك رغب الناس في الاسلام فاستجابوا لندائه الذي كان فيضاً عجيباً تفتحت به أسماع أهل المغرب ، وتطهرت أرواحهم ، واستجابت نفوسهم لدعوة الحق ، والايمان ، تلك الدعوة التي تؤلف ، ولا تمزق ، الأمر الذي دفق سيل الداخلين في الاسلام من أهل هذه البقعة من الأرض منبهرين بتعاليم الاسلام السمح ، وصفحه الجميل ، وعفوه السابغ قال تعالى :

« قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ، يَهْدِي بِهِ اللهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ ، وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ .»[1]

كذلك كان للمعاملة الطيبة التي سلكها الفاتحون المسلمون ، بالاضافة إلى ما كان يصاحبهم في نفس الوقت من دعاة انتشروا بدورهم بين الأهالي يقنعونهم بالحجة والبرهان والأثر الواضح الفعال ، فلم يمض إلا وقت قليل حتى أخذت اللغة والثقافة العربية تنتشر بسرعة في كل أنحاء المغرب ، وأصبح بمثابة الجناح الغربي للامة العربية التي صارت بفضل جهود موسى بن نصير ، وبطولته تمتد حدودها من الخليج إلى المحيط .

ولقد خلفه — أي موسى — عدد كبير من الولاة حملوا راية الاسلام ، والعروبة إلى سائر أنحاء بلاد المغرب الأقصى .

(ومما هو جدير بالذكر أن أوروبا قد نقلت عن بلادنا الكثير من المعارف

---

(١) سورة المائدة ... الآية ١٥ ، ١٦ .

والفنون فى شتى ألوان العلوم والآداب ... وليس أدل على ذلك من ترجمة كتب الطب والفلسفة لابن سينا ، وابن رشد والفارابى ... وغيرهم ، إلى كثير من لغات العالم مما أثر كثيراً فى النهضة الأوربية منذ القرن التاسع عشر ، وحتى يومنا هذا) .

* * *

وهكذا ... وبعد أن دخل المغرب فى حظيرة الاسلام تعاقبت عليه دول إسلامية كبرى كالدولة الادريسية ، ودولة المرابطين ، وإمبراطورية الموحدين والدولة المرينية ، ثم الدولة السعدية ... وأخيراً الدولة العلوية التى تنتمى إلى العرب الأشراف الذين استوطنوا الصحراء المغربية منذ القرن السابع الهجرى واشتهروا هناك وذاع صيتهم ، وبدأت تتجمع حولهم قلوب سكان الصحارى ، وتلتقى عندهم كلمة العرب حينئذ ، والذى ينتهى نسبهم بمولانا حضرة صاحب الجلالة الملك محمد الخامس ــ رحمه الله ــ

حقائق ومشاهدات :

تلك كانت النبذة التاريخية كما تفهمتها عن تاريخ دخول الاسلام هذه البلاد ولكن لا يفوتنى أن أشير إلى بعض الآثار التى رأيتها بعد أن خلفها الاستعمار الفرنسى البغيض الذى حاول تحطيم معنويات المسلمين فى هذه الأرض الاسلامية عندما حول المساجد إلى كنائس وحاول القضاء على معاهد التعليم الاسلامى ، والحد من نشاطها ، ونشر اللغة الفرنسية ، وجعل الأراضى المغربية الاسلامية امتداداً لأقاليم فرنسا فيما وراء البحار قاصداً بذلك ، مد أجله فى السيطرة على تلك البلاد .

لكن صحوة الوطنية المغربية قضت قضاءا مبرماً على ذلك الاستعمار الذى

جثم على صدرها حقبة طويلة من الزمن ، فترى مثلا : بعض الأسواق والمبانى يغلب عليها الطابع الأوربى ، لذلك ترى المغاربة يحاولون جاهدين أن تمحى تلك الآثار بأسرع ما يمكن حتى يرجع للمغرب وجهه العربى الاسلامى الأصيل .

ولقد جبت أغلب مدن المغرب خلال رحلتى ، ووقفت على كثير من أخبارها فهناك المدينة العظمى أو مدينة (رباط الفتح) تلى مدينة (مراكش) وهى كبيرة جداً ، بناها « أبو يعقوب بن يوسف » عام ٥٩٣ للهجرة ، وبنى فيها مسجداً عظيما كبير المساحة ، واسع الفناء ، لا أعلم فى مساجد المغرب أكبر منه ، له مئذنة فى نهاية العلو على هيئة منار الاسكندرية ، كما أن بها جامعة الرباط أكبر الجامعات الاسلامية فى المغرب الأقصى .

كذلك رأيت مدينة فاس حاضرة المغرب فى وقتنا هذا ، وأهلها فى غاية من الظرف ولغتهم أفصح اللغات فى ذلك الاقليم ، ومازلت أسمع العلماء يدعونها (بغداد المغرب) إذ لعبت فى التاريخ الاسلامى أدوارا شبيهة بالأدوار التى لعبتها ــ القيروان ، والقاهرة ، ودمشق وبغداد ، تلك المدن التى تعتبر مراكز الإشعاع الفكرى ، والثقافى فى الشرق كله ، وهى أيضاً كثيرة المرافق واسعة المعايش يحفها المـاء ، والشجر من جميع جهاتها ، وتتخلل الأنهار أكثر دورها .

ويزاول المسلمون شعائرهم الدينية فى كثير من المساجد ، والزوايا التى بنيت فى كل حى من أحياء المدينة ، كما أن بها أهم الجامعات الدينية فى المغرب ، وتسمى (جامعة القيروان) كما يوجد بها جامع مولاى الحسن ، وأيضا بها أهم الآثار التاريخية المغربية (وهى (جامعة القرويين) التى تعد أقدم جامعة إسلامية فى العالم الإسلامى ، ودار الحديث الذى يتخرج منه علماء الحديث ، ومعهد القراءات السبع والعشر .

كذلك زرت مدينة مراكش ، وتعرف بعاصمة المغرب الجنوبى ، وباسمها

اشتهر المغرب فى الشرق والغرب ، أسسها الأمــير يوسف بن تاشفين عام ٤٥٤ للهجرة ، وأتمها بعده الخليفة عبد المؤمن الموحدى الذى بنى بهــا عدة مآثر من بينها مسجدالـكتبية الذى بنى منارته الشهيرة الخليفة يعقوب المنصورالموحدى .

ورأيت فى أقصى شمال المغرب مدينة « تطوان » التى أسسها يوسف المرينى عام ٦٧٥ للهجرة ، وبها معهد مولاى المهدى من أكبر المعاهد الدينية الإسلامية بالمغرب ، . وتركت مدينة الدار البيضاء لـكى أقول أنها تقع على ساحــــل المحيط الأطلسى ، وهى أجمل مدينة حديثة فى المغرب ، وترجع شهرتها إلى ميناؤها الـكبير ، واتساع عمرانها ، وأهميتها الاقتصادية ، والتجارية منــذ أمد بعيد ، إذ كانت تعرف قبل الإسلام باسم (أنفا) فتحها عقبة بن نافع عام ٦٢ للهجرة ، ولما استولى عليها البرتغاليون سنة ٩٢٠ من الهجرة أعادوا تشييدها وأطلقوا عليها إسم (كازابلانكا) ولما بارحوها ظل اسم الدار البيضاء يطلق عليها منذ ذلك الحين ، حتى وقتنا هذا ، بها كثير من المساجد أشهرها مسجــد الدار البيضاء ، ومسجد محمد الخامس ، وهما من أكبر مساجد المغرب .

ومسلمى المغرب يغلب عليهم المذهب المالـكى الذى دخل إليهم عن طريق مصر أيام الفتوحات ، عدى عصور الأسر التركية التى تتبع المذهب الحنفى ، كما أن بها فرقاً صوفية متعددة كالقادرية والرحمانية والعيسوية السلامية والتيجانية والشاذلية (ولـكل أتباع فرقة من هذه زاويتهــا وكتابها للدرس وتحصيل القرآن الـكريم) .

عادات وتقاليــــد :

من المظاهر الدينية الرمضانية هنالك قراءة القرآن الكريم قبل صلاة العشاء فى جميع المساجد المغربية ، ثم تصلى بعدها التراويح وهى عادة ما تتــكون من

ثمان ركعات على حزبين ، وما أن تنتهي حتى تقام الأزكار ، وحلقات الدرس التي تستمر حتى السحور .

ولعلك معي ليلة من ليالي شهر رمضان المعظم لتشهد عظمة تلك الاحتفالات التي تقام في كل من الأحياء المغربية ، حيث يتسابق الأهالي في إقامة الزينات ، والسرادقات يتلى فيها القرآن الكريم بعد صلاة العشاء ، وحتى ساعة متأخرة من الليل ، كما تقيم الحكومة المغربية سرادقاً كبيراً في إحدى ساحات مدينة الدار البيضاء يؤمه الناس من كل مكان لسماع القرآن الكريم .

ولعل من أكبر الاحتفالات التي تقام هناك الاحتفال بليلة السابع والعشرين من الشهر إحتفالا بليلة القدر .



جلالة الملك الحسن الثاني في الحفل الذي يقام في ضريح والده المغفور له محمد الخامس بالرباط وهو بعد نهاية سماع القرآن الكريم والدروس الدينية التي تقام في ليالي رمضان وهو يصافح المؤلف

ومن أحسن ما رأيت أن جلالة الملك الحسن الثاني ملك المغرب يعقد الندوات العلمية الدينية طيلة شهر رمضان في المسجد الذي يضم رفاة والده المغفور له الملك محمد الخامس يتحدث فيها كبار علماء الفقه ، والحديث ، وتستمر كل ندوة

من هذه الندوات ما يقرب من أربع ساعات تذاع بالراديو والتليفزيون (التلفزة كما يسمونها هناك) ، يتسابق آلاف الأهالي على حضورها وسماعها .

وسرني أيضاً أن أرى أكثر علماء المغرب يحفظون القرآن الكريم وجميع كتب السنة عن ظهر قلب .

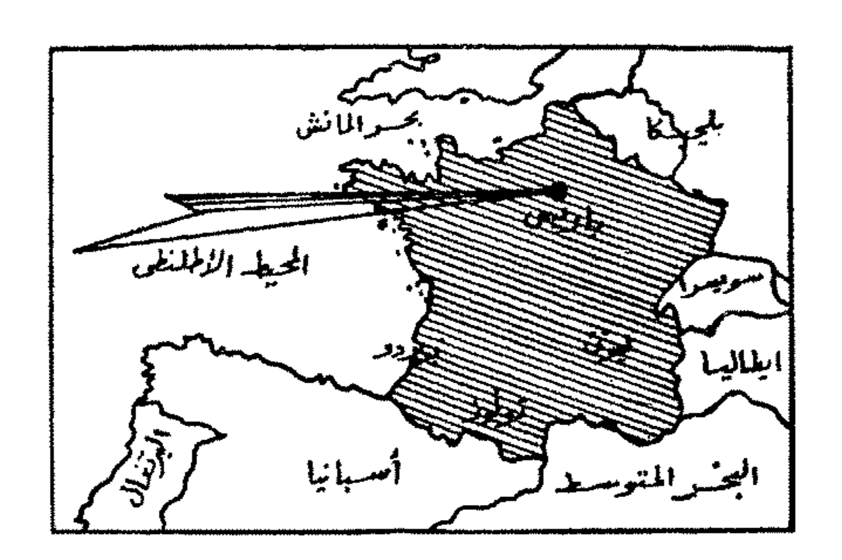
ومن العادات المغربية التي رأيتها أنهم عادة ما يبدأون إفطارهم بتناول ثلاث حبات من التمر ، وكوب من اللبن ، سنة عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ثم يتناولون بعد ذلك بقية إفطارهم المكون عادة من شوربة الفريك والبهارات وطواجن الحلوى والمخارق التي تؤكل مع قهوة اللبن .

ولم أسمع أن هناك ما يشبه المسحراتي عندنا ، إنما وسيلة الإيقاظ للسحور هو المؤذن ، والسفوف واللبن وشراب قلب اللوز هي أطعمة السحور عندهم . (وراعني أن أرى حتى الأجانب يحترمون شعائر رمضان ، فلا ينظر مفطر في أي مكان حتى الطفل المغربي لابد أن يصوم متى بلغ السابعة من عمره حتى لا يهدده والده بالحبس ومنع الطعام عنه إحتراما للمشاعر الدينية الإسلامية) .

* * *

تلك كانت مقتطفات مما رأيته ، وسمعته عن وطن عربي إسلامي زرته خلال رحلاتي المتعددة إلى البلاد الإسلامية خلال شهر رمضان المعظم من كل عام . وهكذا حرصت على ألا تفوتني فرصة زيارة تلك البلد الإسلامي دون أن أدوّن أهم ما شاهدت من آثار إسلامية هناك ، وكل ما سمعت أو رواه لي السادة الأفاضل علماء وطننا العربي الإسلامي المغرب الشقيق .

فرنسا


بحر المانش
بلجيكا
باريس
المحيط الأطلنطي
سويسرا
ايطاليا
أسبانيا
البرتغال
البحر المتوسط

« يُسَبِّحُ لِلَّهِ ما فِي السَّمَٰوَاتِ ، وَمَا فِي الْأَرْضِ ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ، هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنْكُمْ كَافِرٌ ، وَمِنْكُم مُؤْمِنٌ ، وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ »[1].

فى رحلتنا السابقة وقفت بكم عند أقصى بلاد الشمال الأفريقى حيث الوطن العربى الشقيق ـ المغرب ـ وكم كنت أود أن أحكى الكثير عن أخبار رحلتى القرآنية التى مكنتنى من أن أعيش بضعة أيام بين إخوة لنا فى الإسلام . غير أنى اكتفيت بأن أنقل لكم بعضاً مما شاهدته من معالم تلك البلد الإسلامى ، وما رأيت من عادات ، وتقاليد أهله التى توارثها الأبناء عن الأجداد .

* * *

ثم رحلت بعد ذلك حسب ما خطط لى إلى بلد أوربى كان للإسلام منذ فجر دعوته أثر واضح فيه ، فقد عرفه منذ الرعيل الأول من المسلمين يوم كان لهم باع حضارى كبير غطى معظم البلدان ، خاصة ما قارب مهد الدعوة الإسلامية مثل إسبانيا ـ أو بلاد الأندلس كما يسميها العرب القدامى ، والتى فتحها موسى ابن نصير القائد العربى المسلم ـ ألا وهى فرنسا ... إحدى بلاد حوض البحر الأبيض المتوسط .

---

(١) سورة التغابن ... الآية ١ و ٢

ما أن نزلت مطار عاصمتها باريس حتى أحسست بالجو الغربي الصميم الذي ليس له من سمات الشرق العربي الإسلامي شيئاً .

ولكن ما أن استقر بي المقام ، حتى عادت بي الذكرى حيث النخوة والشهامة والأمجاد العربية ممثلة فيما رأيته من كرم الضيافة ، والاستقبال الحافل الذي قابلتني به الجاليات المسلمة التي تعيش بين سكان هذا البلد الغربي ، منذ أمد بعيد ، يوم رحلت إليه في شكل أسر متفرقة طلباً للرزق خاصة من بلاد الشمال الأفريقي حيث تونس ، والجزائر ، والمغرب ـ أو مراكش كما يسمونها ـ وهي ـ أي تلك الجاليات ـ لازالت تتسم بالطابع العربي العريق رغم ما كان بينها ، وبين السكان الأصليين من مصاهرة أدت إلى خلق خليط من هذا وذاك .

المسلمون هناك :

سألت المرافق لي عن أحوال الجاليات المسلمة في تلك البقعة من الأرض التي ترى فيها عجبا ـ الحضارة الأوربية الحديثة كما يسمونها ، بما فيها من مفارقات لا يعترف بها دين من الأديان ـ أجاب :

« إن ما يهمنا أن نقرره هو أن تلك الجاليات المسلمة يقدر عددها بالمليون نسمة يتبع معظمهم المذهب المالكي ، وهم في إزدياد دائم ، يعيش السواد الأعظم منهم بباريس ، وضواحيها ، وهم عادة من طبقة العمال في مجال الصناعة ، والتجارة كما أن لكل جالية منهم زاويتها الخاصة تقام فيها شعائر الصلاة ، ويتلى فيها القرآن الكريم .

ويقوم شيخ الزاوية بتحفيظ الصغار ما تيسر من آيات الذكر الحكيم ، كما تقام فيها أيضاً الاحتفالات بكل مناسبة دينية إسلامية .

ومما هو جدير بالذكر أن هذه الزوايا في إزدياد دائم بزيادة عدد أفراد الجاليات المسلمة في كل البلاد ، والقرى الفرنسية .

وأيضاً هناك في مرسيليا منذ زمن بعيد دار ضيافة ـ أو تكية كما يسمونها ـ ألحق بها مسجد صغير ، ودار لتحفيظ القرآن الكريم كانت تقوم عليها سيدة يمنية كريمة ترحب بكل ضيف مسلم من شتى بقاع الأرض خاصة القادم من بلاد الشرق العربى الإسلامى » .

حقائق ومشاهدات :

ولقد أحسست أثناء الفترة الوجيزة التى عشتها فى رحاب الإسلام والمسلمين فى فرنسا متنقلا من حىّ إلى حىّ ، ومن ضاحية إلى أخرى أن معتنقى الإسلام من قسيسين ، ورهبان ، وغيرهم فى إزدياد دائم يوما بعد يوم ، خاصة عندما سمعوا القرآن المرتل الذى يتلى كل يوم فى مسجد باريس قبيل كل صلاة ، وأيضاً لمخالطتهم أبناء الجاليات المسلمة المستوطنة ، وأعضاء البعثات العلمية القادمين من كل أنحاء البلاد العربية الإسلامية ، واقتناعهم بالإسلام ديناً قيما لا يأتيه الباطل من بين يديه ، ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد .

* * *

ومن الأشياء التى رأيتها هناك وتستحق الذكر ذلك المعهد الإسلامى الكبير الذى يرعى الشئون الإسلامية ، لا فى فرنسا وحدها ، إنما تمتد رعايته لتشمل كل البلاد الأوربيـة المجاورة . (ويقال أن هذا المعهد شيد بباريس عام ١٩٢٦ للميلاد ، ويعتبر من أقدم وأروع المؤسسات الدينية الإسلامية فى العاصمة الفرنسية ، فهو من المآثر التى خلدها التاريخ بصورة أعادت إلى الأذهان ، والأنظار نسخة طبق الأصل من قصر الحمراء فى غرناطة عروس الأندلس التى شـيدها العرب المسلمون أيام الفتح الاسلامى ، كما يعتبر المعهد الاسلامى هذا محجاً لرواد باريس من مختلف الديار العربية الإسلامية ، وموئلا للمسلمين المقيمين فى هذه العاصمة وضواحيها) .

وهناك أيضاً رأيت المجلس الشرعى الخاص ببحث الأحوال الشخصية للمسلمين ، يتكون هذا المجلس من عدة أعضاء يمثلون كبار رجالات الاسلام فى فرنسا كلها .

(ومما هو جدير بالذكر أن أعضاء هذا المعهد الاسلامى ، ومجلسه الشرعى يقومون بالإشراف على كل مراسيم إعتناق الدين الاسلامى لكثير من الأهالى غير المسلمين ، وهم عادة مايعدون بالمئات كل عام ، كما يشرفون أيضا على الزواج والطلاق ، والإرث والوفيات ، وغير ذلك مما يتصل بشئون الاسلام والمسلمين) .

وهناك فى المعهد أيضاً هيئة من الوعاظ ، والمرشدين الدينيين ، وإمام ، وخطيب ، ومفتى ، ومدرس للمواد الشرعية ، وعلى رأس كل هؤلاء الدكتور أبو بكر خيرت مدير إدارة مسجد باريس والمعهد الاسلامى يوم كنت هناك .

ولعلك معى لترى مدى ضخامة ، وعظمة هذا المعهد الاسلامى ، ومبنى المجلس الشرعى ، والمسجد اللذان الحقا به ، كذلك المكتبة التى تغص بأمهات الكتب الاسلامية من تفسير وحديث ، وعلوم شرعية يجد فيها المسلم المستطرف أو المقيم غايته من البحث والدراسة .

ومن بين الخدمات المتعددة التى يقدمها هذا المعهد الاسلامى لا لمسلمى باريس وحدها ، إنما لكل مسلمى البلدان الفرنسية والأوربية ، أنه افتتح فصلا دراسياً لتعليم علوم القرآن الكريم ، والحديث الشريف ، وآخر لتحفيظ القرآن الكريم ومدارسته خاصة للصغار .

عادات وتقاليد :

للجاليات المسلمة فى فرنسا عادات وتقاليد توارثوها عن أجدادهم المسلمين الذين نزحوا خاصة من الشمال الأفريقى كما أسلفنا ، فهم يستقبلون شهر رمضان

الكريم بالفرح والابتهاج . يقيمون الشعائر ، ويجتمعون كل ليـلة للصلاة ، وقراءة القرآن الكريم ، ومدارسته فى الزوايا المنتشرة فى كل القرى الفرنسية.

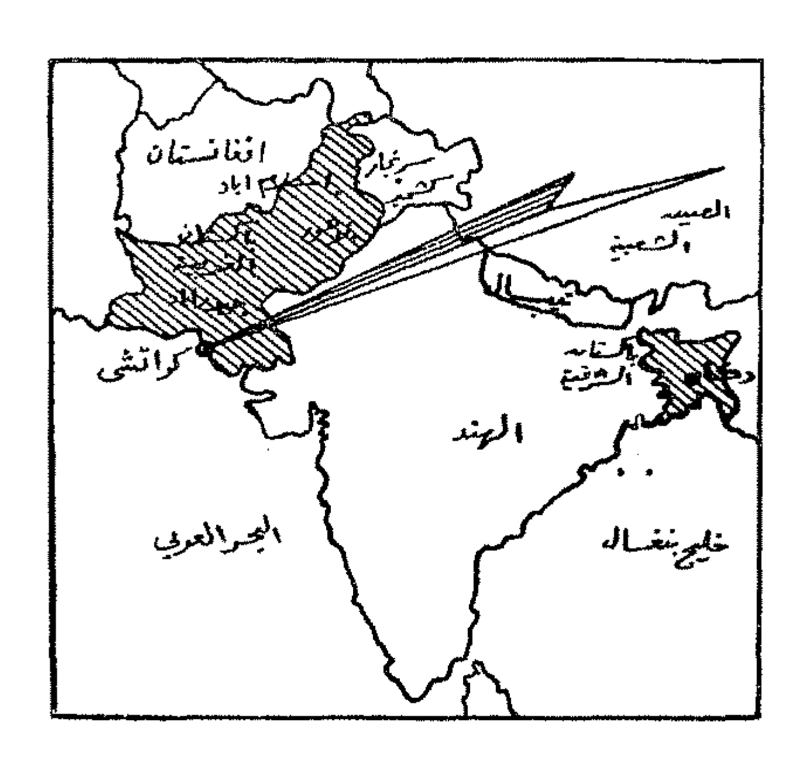
(ولعله من دواعى السرور أن ترى مسجد باريس الذى يعد آية فى الفن المعمارى الحديث ، وهو يستقبل المسلمين لأداء شعائرهم الدينية ، وإقامة إحتفالاتهم فى كل مناسبة إسلامية كالمولد النبوى الشريف ، وليالى شهر رمضان المعظم) .

وكان لى شرف مشاركة أبناء الجاليات المسلمة فى باريس ، وضواحيها إحتفالاتهم بمناسبة شهر رمضان بقراءة القـــرآن الكريم ومدارسته ... كان ذلك بناء على لفتة كريمة من السيد الأستاذ عبد المنعم النجار سفير الجمهورية العربية المتحدة آنذاك بضرورة إرسال قارىء لقراءة القرآن الكريم ومدارسته بمسجد باريس طيلة شهر رمضان ، وهى لفتة لاشك لها فائدتها الكبيرة فى تقوية الروابط الروحية بين مسلمى باريس ، وما جاورها من بلاد أوربية أخرى .

* * *

وهكذا غادرت باريس العاصمة الفرنسية مودعا إخوة لنـا فى الدين جمعتنا وإياهم كلمة لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، نرجو من الله جلت قدرته أن يزداد عددهم يوماً بعد يوم ، وسنة بعد أخرى .

الباكستان



افغانستان
الصين الشعبية
كراتشي
الهند
البحر العربي
خليج بنغاله

« وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا
فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ »[1]

ونحكى أخبار رحلة أخرى إلى بلد إسلامى . . . هو الباكستان ، تلك الجمهورية الاسلامية التى قامت عام ١٣٦٤ للهجرة، والتى يبلغ عدد سكانها حوالى المائة مليون نسمة .

لمحة من التاريخ :

أخبرنى أحد العلماء أنه سبق قيام الباكستان بشكلها الحالى حركات فردية ، وجماعية كانت تهدف فيما تهدف إلى رفع مستوى الجماعات الاسلامية فى الهند ، والمطالبة بكفالة حقوقها السياسية ، ثم تطورت هذه الحركات إلى المطالبة بتحرير المسلمين فى شبه القارة الهندية ، وتكوين دولة خاصة بهم .

وارتبطت هذه الحركات بأسماء عدد من المفكرين ، والزعماء السياسيين . كان على رأسهم « السيد أحمد خان » مؤسس النهضة الثقافية الاسلامية فى الهند ، ومؤسس جامعة عليكرة الاسلامية أيضاً ، ثم « أغا خان الثالث » الذى كان له الفضل فى المطالبة بحق التمثيل المستقل للمسلمين فى مجلس الحاكم العام التشريعى عام ١٩٠٦ للميلاد .

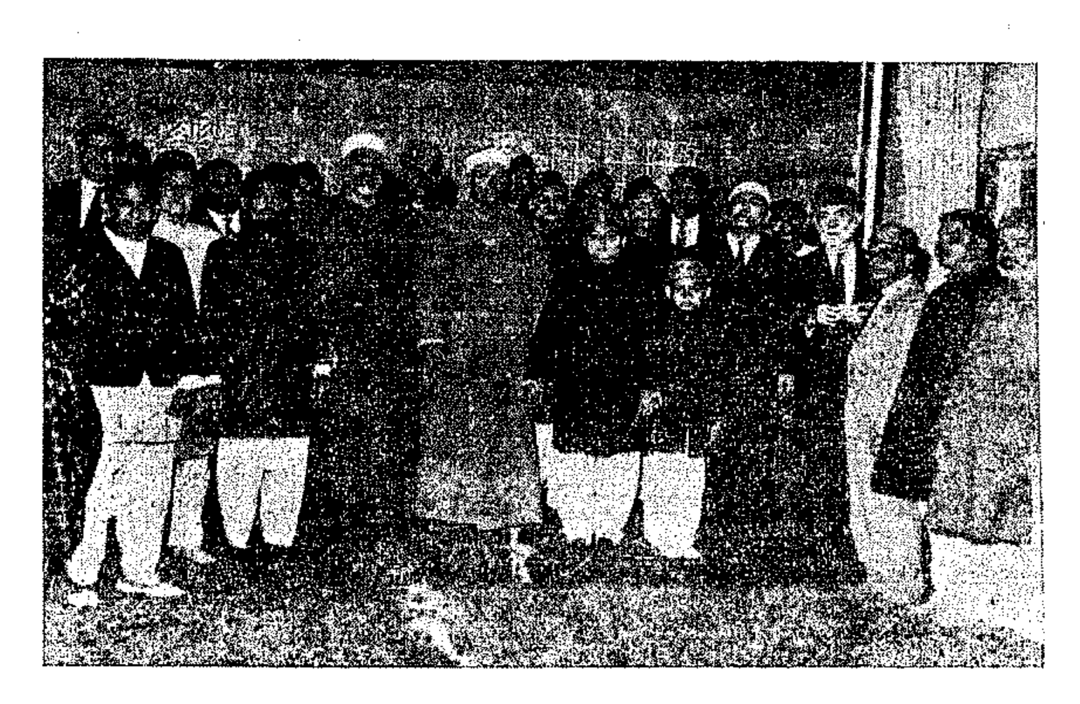
و « نواب وقار الملك » الذى أسس فى نفس العام حزب الرابطة الاسلامية ، الذى تعاون مع حزب المؤتمر الهندى فى مقاطعة الاستعمار البريطانى ، والوقوف فى وجهه .

(١) سورة البقرة . . . الآية ١١٦

وفى عام ١٩٢٧ للميلاد أعلن الزعيم الكبير « محمـــد على جناح » النقاط الأربع عشرة لكفالة حقوق المسلمين فى الهند .

وفى عام ١٩٣٠ للميلاد أيضاً طالب مؤتمر الرابطة برياسة محمد اقبال (شاعر النهضة الاسـلامية هناك) بوجوب اتحـاد المسلمين فى شبه القارة الهندية ، وتكوين دولة خاصة بهم .

(ومما هو جدير بالذكر أن إقبال عين رئيساً للمسلمين بالهنـد ، والعضو العامل فى مؤتمر « الله أباد » التاريخى الذى نادى فيه بضرورة تكوين دولة إسلامية فى الهند هى ـ باكستان ـ وهى دعوة حمل مشعلها السيد « جمال الدين الأفغانى » الذى كان يحلم بيقظة المسلمين من جديد ، وإحياء التراث المجيد الذى خلفه لهم أجدادهم ، وكانت أفكاره هى الأفكار نفسها التى اعتنقها بعده الشاعر الفيلسوف محمد إقبال) .



أحد حفلات اتحاد القراء فى العالم فى كراتشى

وفى اجتماع حزب الرابطة عام ١٣٥٧ للهجرة تمت الموافقة على إقامة دولة باسم باكستان تشمل المناطق الهندية التى تسكنها غالبية من المسلمين ... وبذلك تم إعلان تأسيس باكستان فى ١٤ أغسطس عام ١٩٤٧ من الميلاد .

وفى ٢٣ مارس عام ١٩٥٦ للميلاد أعلنت باكستان جمهورية إسلامية تعيش على تعاليم وهدى ديننا الحنيف ، وعلى أساس من العقيدة والحضارة الإسلامية .

* * *

وتساءلت عن أصل كلمة باكستان فقيل لى أنها تتكون من مقطعين (باك) ومعناها نقاء ، (وستان) ومعناها أرض ، فباكستان معناها : أرض النقاء .

وعرفت أيضاً أن باكستان تتكون من إقليمين متجاورين هما : باكستان الغربية ، ويحدها بحر العرب جنوبا ، والهند شرقا ، وأفغانستان ، وإيران غربا. وباكستان الشرقية : يحدها خليج البنغال جنوبا ، وبورما شرقا ، والهند شمالا ، وشرقاً وغربا .

وأن أهم ولاياتها البنجاب (الذى كان منها الشيخ عبد القادر من الع الشخصيات الاسلامية ، الباكستانية ، والذى عمل على توحيد كلمة المسلمين هناك).

* * *

حقائق ومشاهدات :

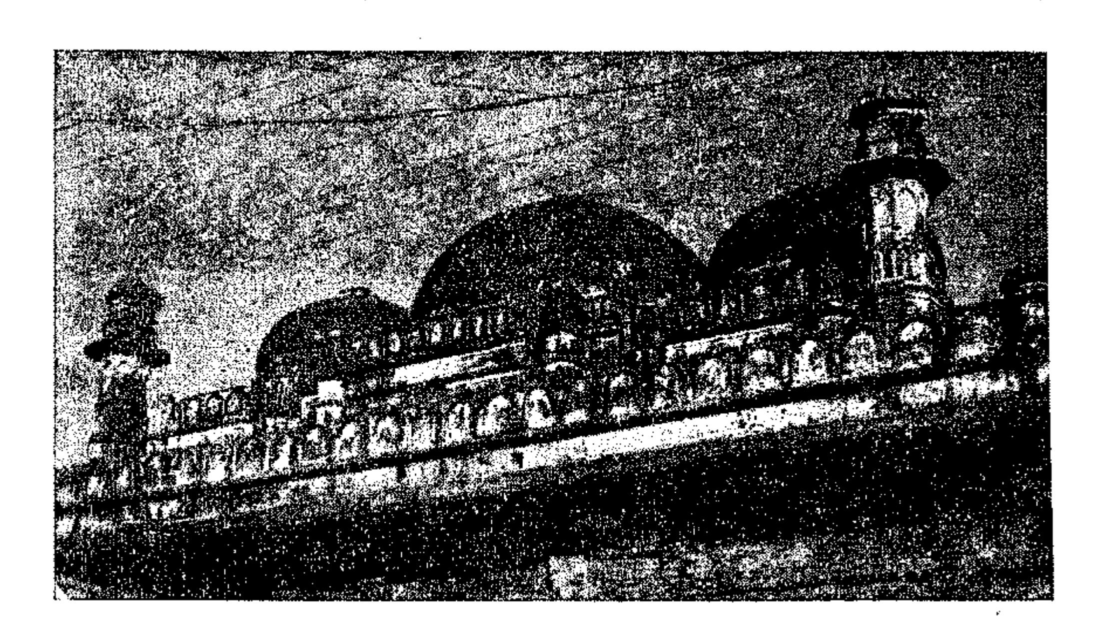
وزرت أغلب المدن الباكستانية الرئيسية خاصة كراتشى ولاهور وروالبندى (العاصمة الجديدة) وإسلام اباد ، وبشاور ، وأيضاً مدينة ملتان .

ولعل من أهم ما لفت نظرى أن بباكستان عدة جامعات ، وكليات ، ومعاهد إسلامية خاصة بالمساجد الكبيرة التى يقوم ببنائها ، والإشراف عليها كبيرى علماء الدين فى مناطقهم .

وهناك فى هذه المعاهد ، والكليات عدد كبير من مبعوثى الأزهر الشريف يقومون بتدريس القرآن الكريم ، والعلوم الاسلامية ، واللغة العربية على نفقة الجمهورية العربية المتحدة .

كما أن بباكستان كثير من المساجد والزوايا ... ففى كل مقاطعة تجد مسجداً كبيراً يؤمه المصلون خاصة يوم الجمعة ، كما تقام فيه الاحتفالات فى كل مناسبة إسلامية خاصة ليلة المولد النبوى الشريف .

ولعل من أكبر هذه المساجد مسجد شاهى بمدينة لاهور ، ومسجد الكلية الاسلامية بمدينة بشاور ، ومسجد كراتشي الكبير فى مدينة كراتشي ، ومسجد نيوتاون بكراتشي أيضاً .



المسجد الكبير بمدينة لاهور

ولك بعد ذلك أن تتساءل معى متى دخل الاسلام تلك البقعة من الأرض ؟.

يقال ان الاسـلام عرف طريقه إلى باكستان منذ القرن الأول للهجرة ، فبعد أن فتح المسلمون إيران ، وأفغانستان ، أرادوا فتح ماوراء السند فأرسلوا الجيوش ، والأساطيل ، البحرية التى نزلت بمنطقة قرب كراتشى ، وكونت هناك ما يشبه المركز الاسـلامى الذى سرعان ما أصبح منار إشعاع للحضارة الاسلامية وثقافتها .

يؤكد هذا اللغة الهندية لغة البلاد التى مازالت حتى اليوم زاخرة بألفاظ عربية كثيرة . وأيضاً كان للدعاة ، والتجار المسلمين الذين انحدروا إلى تلك المناطق الغنية الفضل الأول فى نشر الدين الاسلامى فى أرجائها الواسعة ، خاصـة فى البنغال الشرقية ، والملايو والصين .

عادات وتقاليد :

لعلك معى يوم من أيام شهر رمضان المعظم ـ الذى كان لى شرف ترتيل القرآن الكريم ، ومدارسته خلال لياليه بتلك البقعة المسلمة ـ لتشاهد عظمة ما يقوم به الباكستانيون من إحتفالات تيمناً بالشهر الكريم :

تجد الرايات ، والأعلام تزين الشوارع ، والمصالح الحكومية ، كما تجد الفوانيس الملونة على مداخل المنازل والحوانيت ، والباكستان تكاد تكون فى شبه إجازة طيلة شهر رمضان ، فالمساجد تفتح طيـلة النهار والليل لسماع القرآن الكريم ومدارسته .

ويمتاز الباكستانيون بالكرم والعطاء فكل أسرة تقدم مأدبة إفطار لجماعة من فقراء الحى تبركا بشهر رمضان المعظم ، وتزيد فى عطائها إبتداء من ليـلة الحادى والعشرين ، وحتى نهاية الشهر .



فى القصر الجمهورى مع سيادة الرئيس محمد أيوب خان رئيس الجمهورية الباكستانية

وهنالك عادات إسلامية متوارثة تكاد لا ترى نظيراً لها ، فما أن تنتهى صلاة التراويح فى المساجد حتى ترى المصلين ، وقد التفوا حول شيخ المسجد ليقرأوا عليه جزءاً من القرآن ... وهكذا الحال كل ليلة من ليالى الشهر . بل فى بعض المساجد يقرأوا جزئين كل ليلة (فلابد أن يختم القرآن الكريم أثناء صلاة التراويح خلال شهر رمضان المعظم مرة أو مرتين) .

وما أن يحل وقت السحور حتى تسمع طلقات المدافع عدة مرات معلنة السحور ، ثم معلنة الإمساك ، وبدء صوم يوم جديد من أيام الشهر المبارك .

* * *

ومن العادات الباكستانية أيضاً إقامة الحفلات الكبيرة فى منازل القادرين ، يدعى إليها كل طوائف الشعب من كل حدب وصوب لسماع القرآن الكريم ،

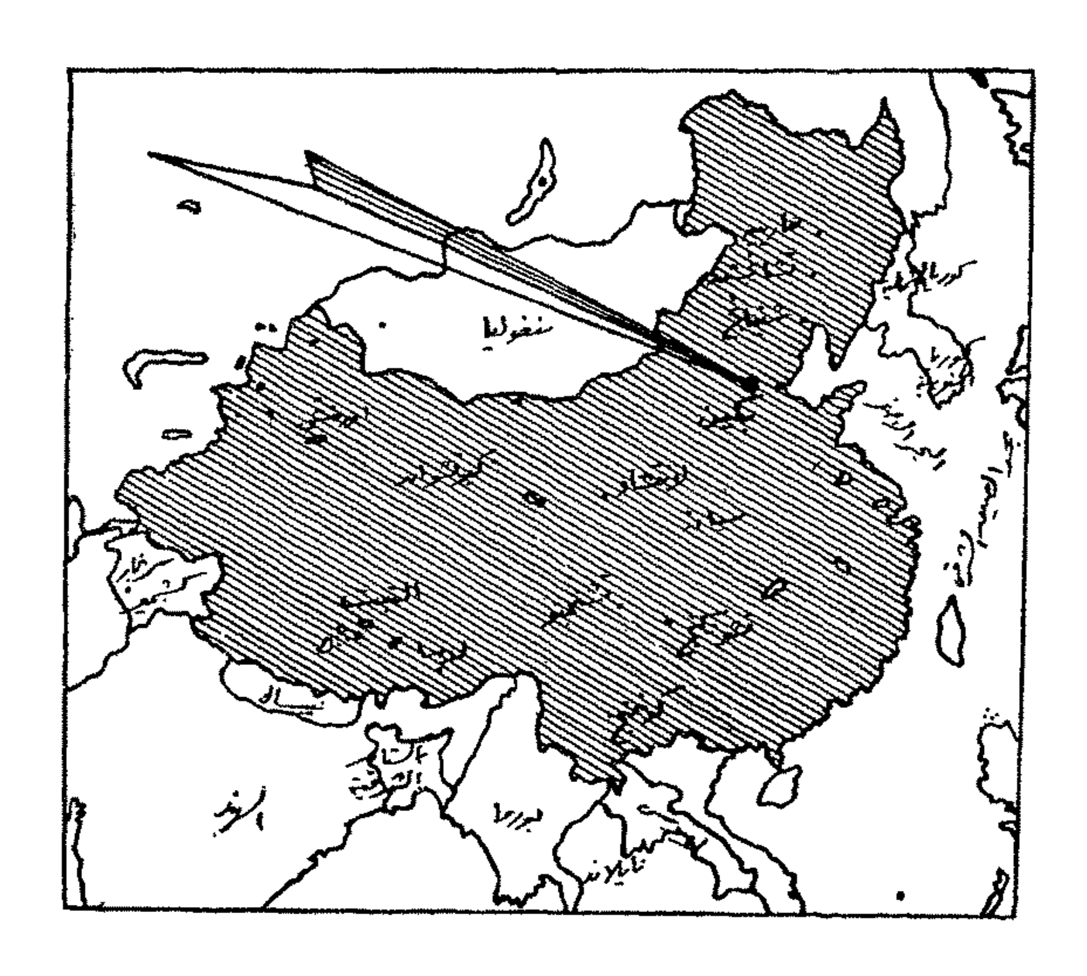
ومدارسته خلال كل ليالى شهر رمضان الكريم ، كما تقام إحتفالات كبيرة ليلة السابع والعشرين تيمناً بليلة القدر المباركة .

* * *

وهكذا تظل الباكستان بكل مدنها ، ومقاطعاتها فى إحتفالات مستمرة إلى أن ينتهى شهر رمضان المعظم .

وهكذا رأيت قطعة من قلب الوطن الاسلامى الكبير ، يشعر أبناؤه بكل فخر ، واعتزاز ، وإيمان لأنهم من أولئك الذين يعيشون تحت لواء الاسلام تجمعهم كلمة التوحيد .

الصين



« شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ
نُوحاً وَالَّذِى أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ
إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىَ وَعِيسَىَ أَنْ أَقِيمُوا
الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيه . . . »[1]

وأعود لأروى لكم مشاهداتى فى الصين ، تلك البلد البعيد الذى يقع فى أقصى بلاد جنوب شرق آسيا ، ويشكل أهله جزءاً كبيراً من مجموع سكان العالم ...

لمحة من التاريخ :

ما أن نزلت مطار هونج كونج حتى استقبلنى عدد كبير من المسلمين من أبناء الجاليات العربية ، وسكان البلاد الأصليين .. وكعادتى فى كل بلد أزوره سألت المرافق لى عن تاريخ دخول الإسلام ، ومدى انتشاره فى تلك البلاد .

وكأن المرافق يعرف ما يدور بخلدى ، فقد بادرنى بقوله :

« نحن نعرف الإسلام منذ زمن بعيد ، تؤكد هذا الروايات التاريخية الكثيرة التى تكاد تتفق جميعاً على أن الإسلام بدأ ينتشر رويداً رويداً منذ صدر الإسلام ، يوم رحل إلى بلادنا عدد كبير من التجار العرب المسلمين خاصة إلى المناطق الواقعة إلى الشمال والجنوب والقريبة من السواحل .

كما أن من الروايات ما يؤكد أيضاً قيام أحد مشاهير قواد العرب المسلمين فى القرن الأول الهجرى على رأس جيش لفتح الصين كى ينقذ المسلمين من ظلم الملوك والأباطرة الذين كانوا يحكمون هذه البلاد آنذاك .

---

(١) سورة الشورى .. الآية ١٣

وكان للقائد المسلم ما أراد ، إذ اكتسح ما قابله من مدن وأمصار ، وكان له الفضل الأكبر فى إدخال كثير من الأهالى فى دين الله .

منذ ذلك التاريخ ، وحتى يومنا هـذا أخذ الاسلام ينتشر انتشاراً واسعاً حتى أصبح فى بلادنا حوالى مائة مليون مسـلم ينتشر أغلبهم فى الشمال الغربى وإقليم التبت » .

حقائق ومشاهدات :

لعل من الأشياء الملفتة للنظر حقاً كثرة المساجد والزوايا الملحقة بالمدارس والمعاهد الاسـلامية المنتشرة فى كل أنحاء المدن الصينية ، والتى يتلقى فيها أبناء المسلمين علومهم الدينية والشرعية ، إلى أن يتخرجوا منها أئمة يلتحقون بعد ذلك بالمساجد الأخرى ، التى يبلغ عددها بضعة آلاف مسجد تعـد فى جملتها بمثابة مراكز ثقافية يشع منها تعاليم ، ومبادىء ديننا الحنيف .

أخبرنى أحد علمـاء الصين أن بمدينة بكين وحدها حوالى خمسة وستون مسجداً أشهرها أربعة مساجد يقال أنها بنيت بأمر أباطرة الصين وملوكها منذ زمن بعيد وهى : مسجد نيو كين فى الجنوب ، ومسجد فامينغ فى الشمال ، ومسجد بومينغ فى الغرب ، ومسجد تونغ سى باى لو فى الشرق (وهو المسجد الذى ألحقت به مدرسة جندا للمعلمين) .

كما أن بمدينـة شنغهاى الشهيرة سبعة وعشرون مسجداً ، وفى هونج كونج وكانتول ، وجميع المدن الكبيرة الأخرى أعداد هائلة من المساجد والزوايا ، يقوم بالإشراف عليها عدد كبير من رجالات الاسلام فى الصين .

كما أن بمدينة شنغهاى أيضـاً رابطة لنشر الثقافة الاسلامية ، ولتسهيل الاتصال بين مسلمى الصين والعالم الإسلامى .

(ومن المشروعات الإسلامية الهامة التى تتناقلها الأفواه ، والمزمع إقامتها هناك إنشاء معهد دينى كبير فى مدينة تشنيان عاصمة مقاطعة شانتونج بغية نشر الثقافة الدينية ، والمحافظة على العادات والتقاليد الاسلامية ، وحتى لا تختلط بالمعتقدات الأخرى (كالبوذية وغيرها) ، وحتى لا تضيع معالم الإسلام فى أرض الصين الفسيحة) .

ومن الأماكن التى زرتها هناك معهد بكين الاسلامى الكبير الذى بدأ العمل فى تشييده عام ١٩٥٥ للميلاد ، ومهمته تثقيف مسلمى الصين ، وتربية جيل من الأبناء يعرفون مدى عظمة الإسلام ، دين آبائهم ـ دين المحبة والرحمة والسلام ـ وأيضاً لإعداد أئمة المساجد المنتشرة فى كل أنحاء المقاطعات الصينية .



إحدى الاحتفالات التى أقيمت فى هونج كونج
بمناسبة زيارة فضيلة الإمام الأكبر الراحل الشيخ محمود شلتوت

(ومما هو جدير بالذكر أن الدولة تولى هـذا المعهد عناية فائقة ، بجانب الجمعية الاسلامية الصينية التى أنشئت عام ١٩٥٣ للميلاد ، والتى تشرف على المعهد وتتولى الإنفاق عليه) .

كما أن جمهوريتنا العربية المتحدة ـ معقل الأحرار وقلعة الإسلام الحصين ـ أخذت على عاتقها إيفاد عدد كبير من علماء الأزهر الشريف والمتخصصين لتدريس اللغة العربية ، والعلوم الدينية بهذا المعهد ، وغيره من المعاهد الإسلامية بالصين .

* * *

ولقد حاولت قدر طاقتى ، وما أتاحته لى الزيارة من وقت أن أتعرف على معالم الإسلام فى تلك البلد الفسيح ، غير أنى أكون مبالغاً لو ادعيت وقوفى على كل ما كنت أريد ، ذلك لأن زيارة بلد مثل الصين يأخذ من الإنسان وقتاً طويلا كى يستطيع تجميع أبرز معالمه الاسلامية... فهناك ما رأيت ...وهناك ماسمعت عنه مثل الجمعيات الإسلامية كجمعية التقدم التى تقوم على خدمة المسلمين ، كما تصدر مجلة باسمها تطلق عليها « نور المحمدية » ، وجمعية أخرى تسمى الجمعية العلمية الإسلامية أنشئت بمدينة شنغهاى عام ١٩٢٥ للميلاد ، هدفها نشر المعارف الاسلامية والأحكام الشرعية ، إلى جانب الاهتمام بجمع الزكاة لمساعدة المحتاجين والإنفاق على المساجد والمعاهد الدينية ، وأيضاً جمعية رقى التعليم الإسلامى ، التى تأسست عام ١٩٣٦ للميلاد ، وتقوم بخدمات جليلة للمسلمين فى كل أنحاء الصين .

ومن الجمعيات الإسلامية أيضاً جمعية تسمى الدفاع الإسلامية ، أنشئت فى مدينة كانتو عام ١٩٣٨ للميلاد ، ثم انتقلت إلى مدينة هونج كونج ، وهى تشرف الآن على بعض المجلات الإسلامية التى تصدر فى الصين مثل : أنوار الاسلام ، وناقوس الإسلام ، والهلال والنجمة .

ومما لفت نظرى قولهم أنه فى إحدى المقاطعات وتسمى هونان قرية بها عدد كبير من المسلمين لهم أحد عشر مسجداً ، سبعة منهم خصصت للرجال ،

أما الأربعة الباقية فلا يصلى فيها سوى النساء فقط ، وبكل مسجد من هذه المساجد الأحد عشر ســواء الخاص منها بالرجال أو النساء مدارس دينيـة على كل المستويات .

كما أن بهذه القرية أيضاً جمعية تسمى جمعية إدارة شئون المسلمين ، وأخرى تسمى بجمعية الفضائل الاسلامية ، وثالثة تسمى بجمعية النساء الاسلامية التى تصدر مجلة باسمها .

ولعل من أبرز المعالم الاسلامية التى تطالعك هناك أن مسلمى الصين يتميزون عن سائر الأهالى بملامحهم وشاراتهم ، ووحدة ملابسهم ، ذلك لأنهم عرفوا منذ القدم بصدق عقيدتهم ، وقوة إيمانهم ، واعتزازهم اعتزازاً بالغاً بدينهم الاسلام .

(كما أنه لابد لنا ونحن فى هذا المقـام أن ننوه بأن الحرية الدينية مكفولة لكل فرد ــ كأحد نصوص الدستور الصينى ــ فالمســلم يتمتع بأوفر نصيب من الاحترام ، والعناية تجاه معتقداته وعاداته وتقاليده الاسلامية المتوارثة) .

عادات وتقاليد :

لعلك تتساءل كيف رأيت مسلمى الصين خلال شهر رمضان المعظم ؟

أجيب تساؤلك فأقول :

إن مسلمى الصين يستقبلون الشهر الكريم بالبشر والترحاب وبنحر الذبائح ، وتوزيعها على الفقراء والمحتاجين .

ولو أنك زرت إحدى المدن الصينية خلال شهر رمضان لشعرت بمدى عظمة الاسلام هناك ، فالأهالى فى أعياد تستمر طيلة الشهر ، والأحياء المسلمة منازلهـا مضاءة طوال الليل ، والشوارع مزينة بالأنوار الملونة والأعلام ،

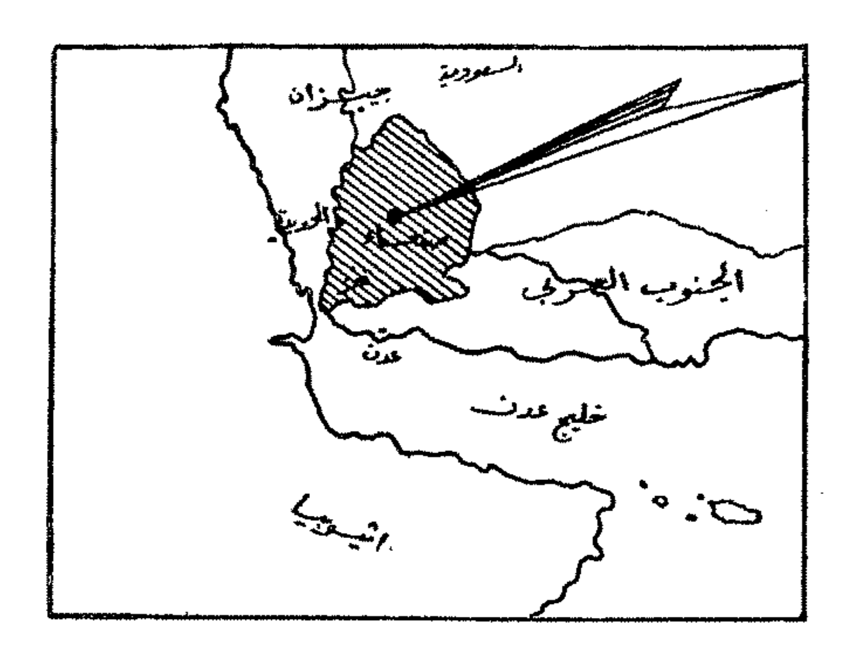
والمساجد يتلى فيها القرآن الكريم بعد صلاة العصر ، وحتى موعد الافطار ، ثم تستأنف التلاوة بعد صلاة العشاء ، والتراويح ، وحتى ساعة متأخرة من الليل خاصة في المساجد الكبيرة كمسجد هونج كونج ، وبكين وغيرها .

ومن العادات الاسلامية التى شاهدتها هناك أيضاً حرص المسلمين البالغ على إقامة الاحتفالات الكبيرة فى كل مناسبة كالمولد النبوى الشريف ، والاسراء والمعراج، ويوم انتصار بدر ، عدا ليلة النصف من شعبان ، وليلة السابع والعشرين من شهر رمضان المعظم (وهذه الاحتفالات عادة ما تكون فى المساجد والجمعيات الاسلامية ، وفى سرادقات تقام فى أكبر ساحة من ساحات كل مقاطعة من المقاطعات الصينية يحضرها عدد كبير من مسلمى المقاطعة وما جاورها من مقاطعات) .

* * *

وهكذا رأيت مسلمى الصين ، ووقفت على بعض تاريخهم الاسلامى خلال إحدى رحلاتى القرآنية .

اليمن



« يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ... هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَٰبَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ » .

جبت أكثر بلاد الإسلام ، غير أنى لم أحس بالسمات العربية الصميمة إلا عند ما زرت الوطن العربى الإسلامى الشقيق اليمن ، ودعنا نقف على أخبار الرحلة منذ بدايتها .

لمحة من التاريخ :

الحديث عن اليمن ، حديث طويل يذكرنا بأمجاد الإسلام ، وفجر الدعوة المحمدية الخالدة ، بل يجعلنا نعيش أحداث الجمهورية العربية اليمنية الفتية بوجهها الجديد ، وجه ثورتها المباركة التى حطمت أصفاداً وأغلالا كبلتها طوال حقبة طويلة من الزمن ، وقضت قضاء مبرماً على الاستعمار ، وأذنابه من الرجعية والانتهازية فى تلك المنطقة العربية الإسلامية العريقة .

نزلت بنا الطائرة فى مطار صنعاء العاصمة الذى عبد تعبيداً جديداً ، وأنشئت فيه المرافق الحديثة ، وكل وسائل الراحة لتستقبلنا سيارة تقلنا إلى داخل المدينة المترامية ، فالجمهورية العربية اليمنية غير متضحة الحدود ، غير أنها

(١) سورة الجمعة ... الآية ١ و٢

تقع فى الجزء الجنوبى الغربى من شبه الجزيرة العربية ، يحدها من الغرب البحر الأحمر ، ومن الشرق الربع الخالى ، ومن الجنوب اليمن المحتل ، ومن الشمال المملكة العربية السعودية .

شرح لى أحد المرافقين طبيعة البلاد فقال :

« إن بلادنا تنقسم إلى عدة مناطق :

السهل الغربى ، ويمتد من حدود جيزان شمالا إلى باب المندب جنوبا ويعرف هذا السهل باسم تهامة اليمن .

ثم إقليم الهضاب العالية وهو عبارة عن سلسلة تمتد بمحازاة تهامة اليمن .

وأخيراً منطقة الهضاب العالية التى توازى إقليم تهامة وسلسلة الجبال .

ومناخ بلادنا متغير تبعاً للارتفاع ، أما الأمطار فتسقط عادة فى فصلى الربيع ، والصيف ، وهى حالة غالبة على المناطق الجبلية ، وتعتبر الزراعة والرعى الحرفتين الرئيسيتين ، غير أن حكومة ثورتنا الرشيدة وجهت النظر إلى تصنيع البلاد والاستفادة من ثرواتها الطبيعية ، فبعد أن كانت الصناعة تعتمد على الحرف اليدوية البدائية أصبحت هناك صناعات جديدة آخذة فى النمو ، والازدهار ، بفضل العمران المتزايد ، ورغبة الثورة فى خلق جيل جديد يشعر بالرفاهية والاطمئنان » .

* * *

ولقد أجاب تساؤلى عن كيفية وتاريخ انتشار الإسلام فى تلك البقعة من الأرض العربية أحد العلماء فقال :

« توالت على اليمن قبل ظهور الإسلام وجوه كثيرة يرجع ذلك إلى موقعها الجغرافى الممتاز ، وطبيعة أرضها المتسعة التى جعلت منها مكاناً خصباً يتوجه إليه المهاجرون من كل المناطق الساحلية المجاورة الأمر الذى شدد الصراع بين

ديانات هؤلاء النازحين إلى الأراضي اليمنية من وثنيين، ومسيحيين، ولادينيين، حتى أن أبرهة الحبشي جعل من صنعاء منافسة لمكة في التجارة ، فبنى فيها كنيسة فخمة ليصرف الناس عن الكعبة وأوثانها ، وتصبح إداة لنشر المسيحية في تلك البقاع .

كان هذا إلى أن خرج على العالم رسولنا الكريم محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ يدعو للاسلام فكان أول من نصره ، ووقف إلى جواره يمنيون كانوا يعيشون في الحجاز (في يثرب على وجه الخصوص) آنذاك ، وسرعان ما سمع سكان اليمن كلها بالدعوة الجديدة فتسابقوا في الدخول فيها ، بل وكانوا دعامة قوية في كل فتح ، وفي اتساع انتشار الدين الإسلامي واللغة والتقاليد العربية .

* * *

حقائق ومشاهدات :

لو أنك كنت معي لتعجبت مما تسمعه من الناس عن حالة بلادهم أيام حكم الإمام فهم فرحون بثورتهم كل الفرح يؤكدون أن بلادهم أصبحت جديدة في كل شيء عدا بعض الآثار الباقية كالمنازل ، والمدارس ، والمعاهد الإسلامية ذات الطابع العربي الهندسي الجميل ، ومدينة مأرب وسدها التاريخي العظيم الذي يعتبر من أهم الآثار التاريخية لا في اليمن وحدها ، ولكن في الشرق العربي كله ، ثم مدينة صرواح المليئة بالآثار القديمة خاصة معبدها الهام الذي شيد في القرن الثامن قبل الميلاد على شكل بيضاوي في داخله نقش شهير عرف باسم (نقش النصر) .

ولعل من أروع ما شاهدته في صنعاء خاصة مسجدها الكبير الذي يعتبر من أقدم المساجد في العالم الإسلامي عدا ما يقرب من سبعة وتسعون مسجداً رأيتها في صنعاء أيضاً تستخدم في غير أوقات الصلاة ، كمعاهد دينية يفد إليها

الطلاب ليدرسوا القرآن الكريم ، وأصول القراءات والعلوم الإسلامية الأخرى . . وقل أن يوجد حيّ فى اليمن دون أن يكون فيه أكثر من مسجد أو زاوية بعضها شيد حديثاً ، وبعضها الآخر قديم قدم التاريخ اليمنى حيث شيده شيوخ القبائل اليمنية على مرّ العصور .

وهناك أيضاً رأيت مسجداً يسمى مسجد الجند شيد بالقرب من تعز يقال أن تاريخ بنائه يرجع إلى ظهور الإسلام فهو فى نفس المكان الذى شيد فيه أول مسجد فى الأراضى اليمنية بنى أيام النبى - صلى الله عليه وسلم - عند ما رحل إلى اليمن معاذ بن جبل ، ومازالت مئذنته باقية حتى اليوم .

* * *

عادات وتقاليد :

لو عشت أيام شهر رمضان المعظم بين إخواننا فى العروبة والإسلام فى اليمن لشعرت بمدى استمساكهم بالتقاليد والعادات العربية الإسلامية الأصيلة ، فمثلا ما أن يُسمع المؤذن معلناً بداية الإفطار حتى يبدأ الصائمون بتناول ثلاث حبات من التمر ، وكوب من اللبن سنة عن النبى عليه الصلاة والسلام ، ثم يصلون صلاة المغرب وبعدها يتناولون بقية الإفطار ... ثم يخرجون إلى المساجد والزوايا لصلاة العشاء والتراويح ، وتلاوة القرآن الكريم ومدارسته إلى ساعة متأخرة من الليل .

ولو أنك توغلت داخل الأحياء القديمة لرأيت شيخ القبيلة بعد صلاة العصر يجلس وحوله جمع كبير من أهله يشرح لهم فى الدين ويقرأ عليهم ما تيسر من القرآن الكريم حتى قرب موعد الإفطار فيذهبوا جميعاً إلى مائدة الشيخ حيث يتناولون إفطارهم .

* * *

ومن الأشياء التى تستحق الذكر حرص الحكومة والأهالى على الاحتفال

بليالى شهر رمضان المعظم ، فالأهالى يحرصون كل الحرص على زيارة بعضهم البعض ، فهم فى شبه إجازة من كل شىء طيلة أيام الشهر المبارك .

أما الحكومة اليمنية فتقيم فى القصر الجمهورى بالعاصمة وفى دورها فى كل مدينة من المدن الأخرى سرادق كبير يدعى إليه الناس لتناول الإفطار وسماع القرآن الكريم ومدارسته بعد صلاة العشاء وحتى ساعة متأخرة من الليل ، كما تحرص أيضاً على إقامة إحتفال كبير ليلة النصف من الشهر وليلة السابع والعشرين تيمناً بليلة القدر .

ومن الأشياء التى لفتت نظرى هناك إقامة الصلاة فى أوقاتها فى المدارس والمعاهد الدينية ، وحرص الطلاب على سماع درس العصر من ناظر المدرسة أو شيخ المعهد .

كما لفت نظرى أيضاً احترام الأقليات الأخرى للمشاعر الإسلامية فلا تجد مفطراً يجهر بافطاره ، ولا تجد متجراً للطعام يفتح أبوابه طيلة النهار حتى يشعر الناس جميعاً بمدى عظمة الشهر الكريم وقداسته .

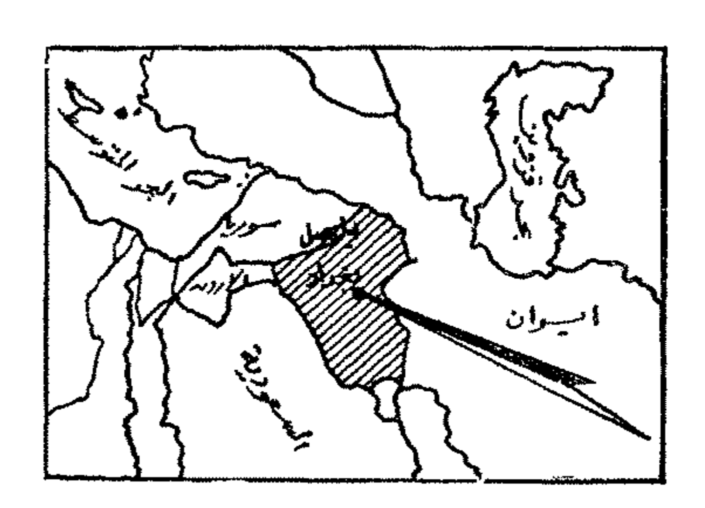
ومما يجدر بالذكر أن السيد رئيس الجمهورية والسادة الوزراء ينتظرون بعد صلاة الجمعة فى المسجد إلى صلاة العصر وبعدها يلتقون بالجماهير المسلمة فيلقى السيد رئيس الجمهورية كلمة يزود بها الأهالى بما يراه من المعلومات العامة ويشرح لهم سياسة الدولة الداخلية والخارجية ، كما يرد كل وزير فى جهة إختصاصه على أسئلة المواطنين وأصحاب المصالح ليطمئن كل ذى حاجة إلى قضاء حاجته .

* * *

وهكذا زرت اليمن القطر العربى الإسلامى الشقيق .

وهكذا رأيت إخوة لنا فى الإسلام جمعتنا وإياهم كلمة الله والكفاح من أجل المبادىء السامية والحفاظ على ثورات الشعوب الاشتراكية العادلة .

العراق



« رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ »(١)

وزرت العراق ذلك الوطن العربى الإسلامى الشقيق .

ما أن نزلت أرضه حتى استقبلت بالبشر والترحاب ، بالكرم العربى الأصيل ، عشت بين أهلى وعشيرتى أياماً سأقص عليكم قصتها منذ البداية .

* * *

لمحة من التاريخ :

يجاور العراق جغرافياً : إيران ، وتركيا ، وسوريا ، والاردن ، والعربية السعودية ، والكويت .

دخلها الإسلام عند ما توافدت عليها القبائل العربية بعد الفتح الإسلامى ، تحمل التجارة ، ومعها مبادىء الإسلام السمحة لتنشرها بين الأهالى ، الأمر الذى مكن الإسلام على مر السنين فى هذه البقعة من الأرض ، بل وصبغ الناس بالصبغة الإسلامية الخالصة .

* * *

حقائق ومشاهدات :

لعل من الأشياء التى لفتت نظرى بالعراق كثرة المعالم الاسلامية التاريخية ، فلا تكاد ترى مدينة من المدن ، أو حياً من الأحياء العراقية دون أن يكون فيه عدة آثار تحكى عظمة العصور الاسلامية الغابرة .

---

(١) سورة البقرة .. الآية ١٢٨

فهناك فى مدينة بغداد العاصمة التى تقع على نهر دجـلة فى موقع متوسط بين البصرة فى الجنوب ، والموصل فى الشمال ، وتشرف على ضفتى دجـلة . يعرف الجانب الشرقى منها باسم الرصافة ، والغربى منها باسم الكرخ ، بها عدة أحياء وضواحى .

حىّ الكرخ يضم ما كان يعرف بمدينة المنصور القديمـة ، والتى امحت آثارها ولم يبق فى موضعها سوى المقبرة التاريخية التى تضم ضريح الغزالى ، ومعروف الكرخى ، وزبيدة خاتون .

وضاحية الكاظمية على الضفة الغربية يسكنها الشيعة ، بها مسجد يضم رفات موسى الكاظم ، ومحمد الجواد ، وهو مسجد غاية فى الإبداع الفنى ، قبابه ذهبية وله طابع هندسى عربى أصيل .

أما ضاحية الأعظمية فتضم مسجد الإمام الأعظم أبى حنيفة ، وبجواره جامعة آلى البيت ــ وهى معهد دينى حديث ــ وغالباً ما يسكنها السنيون .

وينسب إنشاء بغداد إلى أبى جعفر المنصور ثانى خلفاء العباسيين ، أقامها على الجانب الغربى الذى يعرف اليوم بالكرخ ، ووضع حجر الأساس عام ١٤٥ من الهجرة ، وانتقل إليها من الأنبار (أو الهاشمية) عام ١٤٩ من الهجرة ، وجعلها على هيئة دائرة يتوسطها قصر الخلافة المعروف (بباب الذهب) ولم يلبث الخليفة العباسى أن بنى قصراً مهيباً أسماه (قصر الخـلد) على ضفة النهر خارج المدينة الدائرة التى أطلق عليها عدة أسمـاء (كمدينة السلام) و (دار السلام) و (مدينة المنصور) و (المنصورية) .

وفى عام ١٥١ من الهجرة بنى المنصور لولى عهده المهدى (قصر الرصافة) على الجانب الشرقى من النهر . . . . . وتوالت على بغداد عصور تاريخية مختلفة كانت حاضرة العلم والعلماء ، وواجهة الفنون والآداب . . . . . وظلت هكذا

منذ أقدم العصور تحمل الطابع العربى الأصيل . . . واليوم أدخل عليها كثير من التحسينات والتخطيط الحديث للأحياء والضواحى ، لكنها لازالت تغص بالآثار الإسلامية القديمة .

وهناك من المدن العراقية الكبيرة أيضاً مدينة البصرة ، تقع على شط العرب بعد التقاء نهر دجلة بالفرات ، وهى أولى الموانى العراقية وثالثة المدن العراقية الكبرى .

والبصرة مدينة عربية إسلامية النشأة أسسها عقبة بن غزوان عام ١٦ من الهجرة فى خلافة سيدنا عمر ــ رضى الله تعالى عنه ــ وسميت كذلك نسبة إلى البصرة وهو نوع من الحجر الأبيض بنيت به المدينة ، وبالقرب منها جرت موقعة الجمل عام ٣٦ من الهجرة بين سيدنا على ــ رضى الله عنه ــ والسيدة عائشة وطلحة والزبير .

وكانت البصرة نظراً لموقعها الجغرافى مركزاً لكثير من الثورات السياسية والفكرية منها : ثورة الخوارج ، والزنج ، والقرامطة ، وفيها ظهر مذهب الأشاعرة .

استولى عليها المغول عام ٦٥٦ من الهجرة ، واستولى عليها العثمانيون عام ٩٤١ من الهجرة . . . وهى فى الوقت الحاضر عاصمة لواء عراقى (أى عاصمة مديرية أو محافظة) .

وبمدينة البصرة عدة مساجد منها القديم والحديث ، كما أن بها مجموعة من الآثار الاسلامية أيضاً .

وهناك من المدن العراقية الكبيرة مدينتى الموصل ، والرصافة ، وهما لا يخلوان أيضاً من الآثار الإسلامية الخالدة .

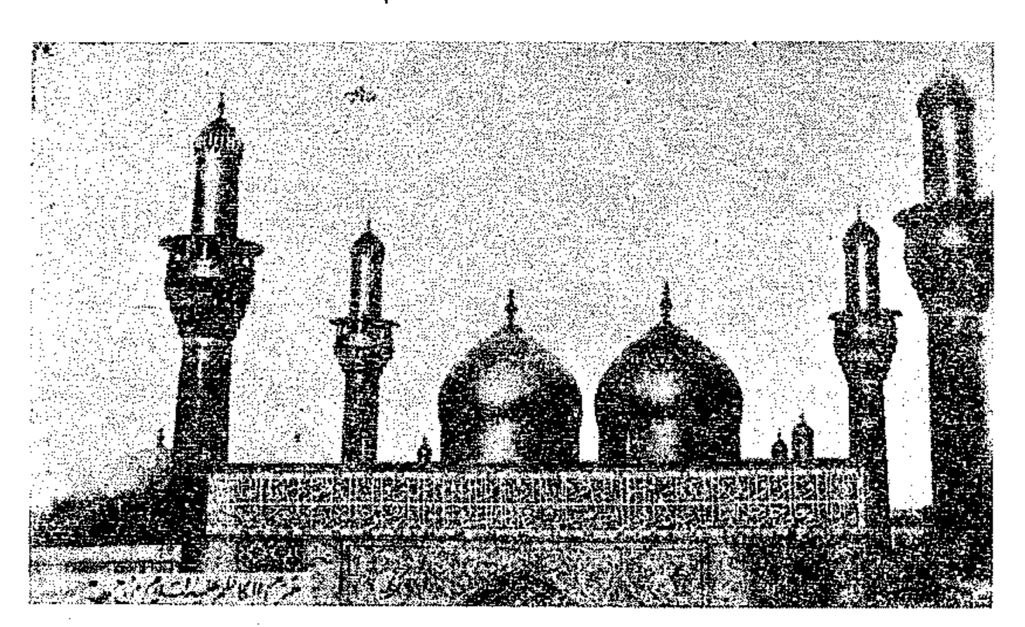


فى القصر الجمهورى بالعراق مع الرئيس الراحل عبد السلام محمد عارف

عادات وتقاليد :

لعلك معى لترى المساجد العراقية كلها ، وقد زينت بالثريات وجلس الناس حول الفقهاء ينهلون من معينهم خاصة فى المسجد الجامع ، ومسجد الرصافة ذات الطابع الاسلامى البحت ــ وهذا المنظر الإسلامى الجميل لا يتكرر سوى فى شهر رمضان التماساً للبركة ، وطلباً للغفران ــ

ورأيت أيضاً من عادات أولى الأمر من حكام العراق أن يدعوا كل يوم للافطار بالقصر الجمهورى ما يقرب من ألفىّ صائم من مختلف طوائف العراق ،

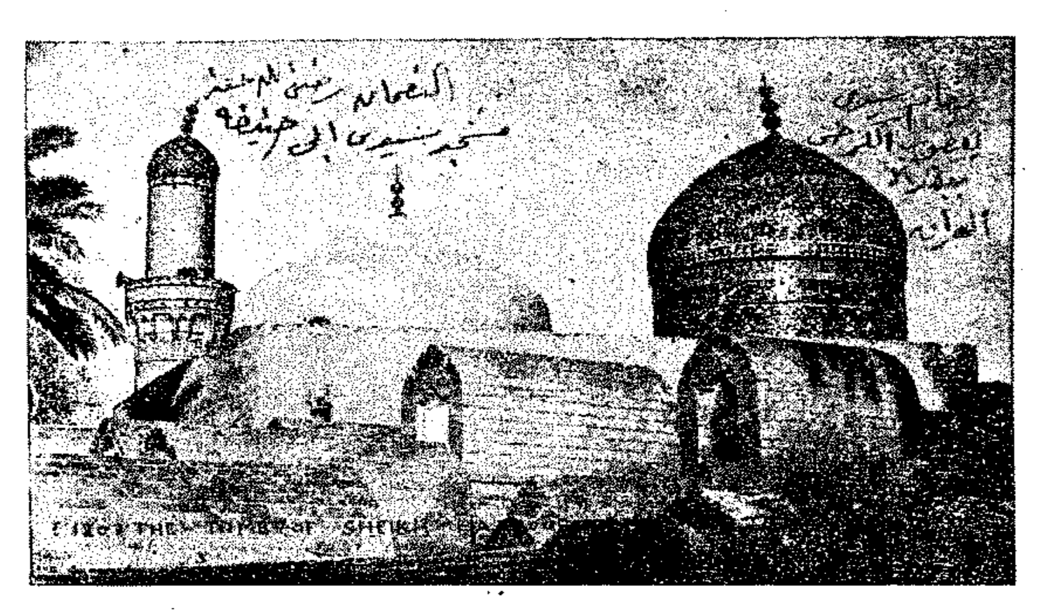


الحرم الكاظمى بالعــراق

كالعلمــاء ، والضباط ، والموظفين ، والتجار ، والصناع ، والأعيان ، لسماع تلاوة ما تيسر من آيات الذكر الحكيم ... إلى أن يحين موعد آذان المغرب فيؤذن للصلاة ، ويتوجه المدعوون جميعاً إلى صلاة المغرب بالمسجد الذى شيد بالقصر الجمهورى . وعادة ما يؤم الصلاة رئيس الجمهورية العراقية .

وبعد الصلاة مباشرة يتوجه المصلون إلى موائد الطعام ، وبعــــده يشربون الشاى ، والقهوة ويتجاذبون أطراف الحديث .

وما هى إلا برهة حتى يطلب الحاضرون من السيد رئيس الجمهورية أن يخطب فيهم ، فيتناول الحديث معهم إلى قرب موعد صلاة العشاء ، فتترك فرصة لمن يريد الانصراف كى ينصرف ، أما من يريد البقاء لأداء الصلاة فيبقى .



مسجد سيدى أبى حنيفة النعمان رضى الله عنه ومقام سيدى يعقوب الكرخى ببغداد العراق

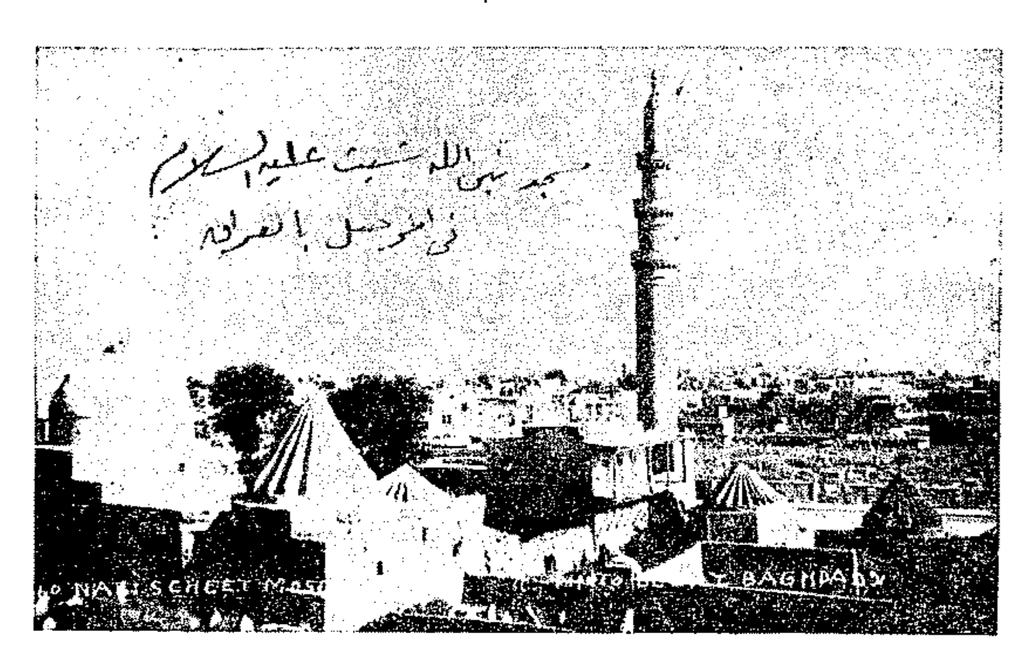
ولعلك معى داخل أحد مساجد العراق لتراها غاصة بالمصلين ، وترى أيضاً حلقات الذكر ، ومدارسة القرآن الكريم ، والإستمتاع بالتواشيح الدينية ، التى تظل حتى صلاة العشاء حيث تقام بعدها صلاة التراويح .

ويقام فى العاصمة (بغداد) سرادق كبير يتلى فيه القرآن الكريم بعد الصلاة ، وحتى ساعة متأخرة من الليل ... يفد إليه الأهالى ، وكبار رجالات الدولة والأعيان من كل مدن العراق تبركا بليالى الشهر الكريم .

* * *

ومن العادات الرمضانية التى رأيتها أثناء إقامتى بالعراق إقامة المادب طوال أيام الشهر للفقراء ، والمساكين فى كل بيت من بيوت المسلمين القادرين.

ولهم أيضاً عادة توارثوها وهى بدء إفطارهم بتناول حبات من التمر ، وكوب من اللبن سنة عن الرسول الكريم ـ صلى الله عليه وسلم ـ ثم يصلون صلاة المغرب ، وبعدها يتناولون أطعمتهم الأخرى .



مسجد نبى الله شيث عليه السلام فى الموصل بالعراق

وكما أن للصائمين الكبار عادات ، كذلك فللصغار عاداتهم أيضاً .

فما أن ينتهى وقت تناول الإفطار حتى ترى الأطفال وهم يتسابقون فى الخروج إلى الشوارع ، يغنون الأغانى والأهازيج التى تشبه الموشحات ... وتظل الشوارع تموج بهم طوال الليل ، وحتى موعد السحور ، حيث يسمع المسحرون الذين يوقظون من غلبهم النوم .

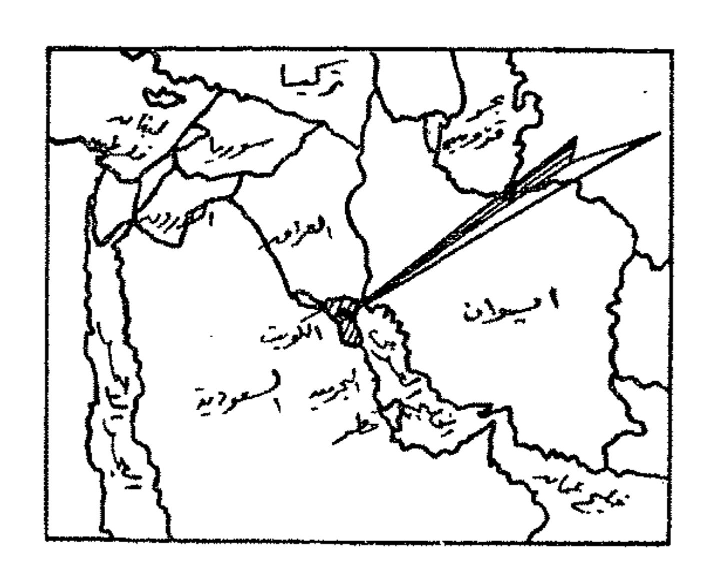
كذلك رأيت الاحتفالات الدينية الهـائلة ، التى تقام من منتصف الشهر ، وحتى آخره .

كما أن هناك منها احتفال يحضره رئيس الجمهورية ، وهو الاحتفال بليلة القدر ، وليلة السابع والعشرين من شهر رمضان المعظم .

* * *

وهكذا رأيت العراق .. وما رأيت أكرم من أهـله ، وما رأيت أدنى تغير فى عاداته ، وتقاليده الإسلامية المتوارثة .

الكويت



تركيا
سوريا
العراق
الكويت
ايران
السعودية
البحرين
قطر
خليج عمان

« فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَتَ اللهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لاَتَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللهِ ، ذٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلٰـكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَيَعْلَمُونَ » [1]

ونلتقى لنحكى أخبار رحـلة أخرى إلى وطن عربى إسلامى آخر زرته عدة مرات ، فى كل مرة أزوره فيها أجده أجمل منظراً ، وأبدع تنسيقا . . . ألا وهو الكويت .

ولنقف عند أخبار الرحلة منذ البداية .

هبطت بنا الطائرة حيث مطار الكويت الجـديد ، الذى يقع بين مدينتى الكويت ، والأحمدى ، ويعتبر آية فى الفن المعمارى الحديث .

وخرجنا من أرض المطار لتستقبلنا الأبنية الفاخرة ، والشوارع المنسقة .

فالكويت ينفق جانباً كبيراً من دخـله على رفع مستوى المعيشة ، وتوفير أسباب الراحة لمواطنيه فى كل القطاعات .

* * *

لمحـة من التاريخ :

سألت : أين نحن الآن من العالم الإسلامى ؟

أجاب المرافق بقوله :

---

(١) سورة الروم ... الآية ٣٠ .

« نحن الآن فى شمال غربى الخليج العربى ، يحدنا شمالا العراق ، وجنوباً السعودية ، وشرقاً الخليج العربى ، وغرباً المنطقة المحايدة » .

ودولة الكويت دولة عربيـة مسلمة ، برزت أهميتها يوم احتـل الفرس البصرة ، ونقلوا حركة التجارة منها إلى الكويت ، ممـا زاد عدد المهاجرين إليها خاصة من منطقة الخليج ، والجزيرة العربية ... يبلغ عدد سكانها قرابة الربع مليون نسمة كلهم مسلمون ، عدا بعض الأقليات الأوربية التى تعمـل فى حقول البترول .

* * *

ولعلك تتعجب حينما تعرف أن مساحة دولة الكويت لا تتجاوز ستة آلاف ميل مربع ، والكويت إسم الإمارة كلها وعاصمتها التى تقع على الضفة الجنوبية من الجون الصغير .

يقول عنها الكويتيون أنفسهم أنها مدينـة حديثة لكنها تقع فى منطقة قريبة من موقع كاظمة التى ورد ذكرها فى حوادث الفتح العربى عندما وقعت معركة بين العرب بقيادة خالد بن الوليـد ، وبين الفرس بقيادة هرمز عام ١٢ للهجرة .

ومنذ اكتشف البترول فى أرض الكويت أنشئت مدينة (الأحمـدى) وسط منابعه ، تبعد حوالى ٣٧ كيلو مترا إلى الجنوب على البحر ، وهى مركز شركة النفط الكويتيـة ، ولهـا ميناء خاص بها يسمى (ميناء الأحمدى) ، وتعد هذه المدينة من أجمل المدن العربية الحديثة فى الشرق .

وهناك من المدن الحديثة مدينتى حولى مركز محافظة حولى ، ومدينة السالمية ، وأيضاً هناك بعض القرى المتباعدة مثل : أبو حليفة ، والفنطاس ، والجهراء ، وكاظمة ، والروضتين .

والكويت متصلة بالعـالم الخارجى عن طريق البحر ، ومتصلة بالأقطار العربية عن طريق البر ، تأتيها البواخر والطائرات كل يوم محمـــلة بالأطعمة والخضروات ، ذلك لأن أرضها قاحلة قلما ينبت فيها العشب لقلة الماء الجوفى ، وانعدام الأمطار ، ممـا دعى الحكومة الكويتية إلى إقامة مشروع عظيم لتقطير مياه البحر لتتوفر للناس حاجاتهم من المـاء .

وكعادتى فى كل بلد أزوره أحرص كل الحرص على معرفة تاريخ دخول الإسلام فيه أستشفها خاصة من أفواه أهله .

قال لى أحد علماء الكويت :

« إن الإسلام عرف طريقه إلى هذه البقعة من الأرض العربية الإسلامية منذ أواخر القرن الحادى عشر من الهجرة ، وأوائل القرن الثانى عشر ، يوم رحل إليها عدد كبير من البدو ، وصيادى الأسماك المسلمين ، وبعض القبائل المهاجرة من قطر ، وما جاورها من البلاد خاصة قبيلة بنى خالد التى لم يكتب لها البقاء المستمر فى الأراضى الكويتية .

غير أن قبائل العتوب إحدى بطون قبائل العنازة ــ موطنهم الأصلى وسط الجزيرة العربية ، ومن أنشط القبائل العربيـــة فى التجارة وصناعة السفن ــ هى التى استقرت داخل الكويت منذ زمن بعيد ، ولا زال منهم من يعيش بيننا إلى وقتنا هذا .

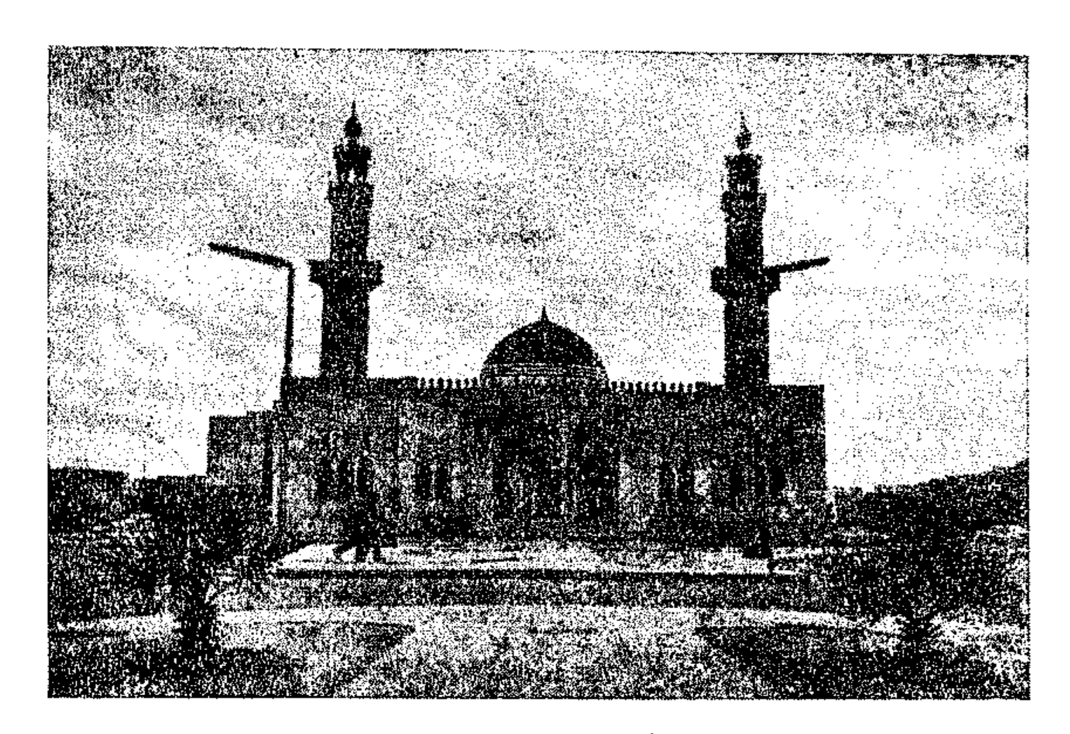
* * *

حقائق ومشاهدات :

على الرغم من صغر مساحة دولة الكويت ، إلا أنك تحس فيهـا الطـابع العربى الاسلامى الصميم ، ترى عدداً كبيراً من المساجد ، والزوايا ، والمعاهد ، والمدارس الدينية .

فالكويت تعمل جاهدة على نشر التراث الاسلامى ، وتقدم كل إمكانياتها للعاملين فى مجال التعليم الدينى على وجه الخصوص . فهناك أقيم معهد دينى كبير يتعلم فيه الطلاب تجويد القرآن الكريم ، والتفسير ، والحديث ، وجانب من العلوم الشرعية والفقهية ، والعلوم الاخرى .

وفى الكويت عدة مدارس على المستويات المختلفة ، وعلى أحدث طراز فى العالم ، من ناحية البناء والاستعدادات وطرق التعلم - تعتنى فى مناهجها الدراسية خاصة بالجانب الدينى - يجلب إليها كل عام أعداد ضخمة من أبناء الازهر الشريف ، ومدرسى الجمهورية العربية المتحدة .



أحد مساجد الكويت

أما المساجد فمن بين مارأيت منها المسجد الاحمدى ، وهو من أروع المساجد الكويتية بالقرب منه جمعية الإرشاد الاسلامية التى تعمل جاهدة على إنماء روح

المعارف الإسلامية ، وتربية النشيء على مبادىء ديننا الحنيف ، كما تعمل أيضاً على ربط الناس بعضهم ببعض عن طريق المحاضرات ، والمواعظ التى تلقى عليهم أيام الجمع ، وفى كل مناسبة دينيـة ـ راجية بذلك رسم الطريق الصحيح للفرد المسلم ، وعلاقته بربه أولا ، ثم بالناس من حوله ثانياً ـ

ومن المساجد الاخرى التى شاهدتها هناك مسجد البدر الذى أسسه الحاج ناصر البدر عام ١٨١٥ للميـلاد ، ومسجد المرحوم الحاج عبد الله العثمانى بحى النقرة (أنفق فى تشييده مبالغ طائلة حتى أصبح تحفة من الفن المعمارى الحديث، بل ومن أعظم المساجد التى شيدت فى تاريخ الكويت) .

وهنالك أيضاً مساجد أخرى لا تقل جمالا وروعة عن مسجد الحاج عبدالله ، كمسجد هلال فى حى العوازم ، ومسجد آل خليفة على شاطىء الخليج ، وأيضاً مسجد الشويخ بجوار المدرسـة الثانوية التى أصبحت مقراً لجـامعة الكويت الحديثة .

* * *

عادات وتقـاليد :

وعشت أياماً طيبة بين أبناء الكويت ، لم أحس خلالها أنى غريب عن أهلى ، وعشيرتى ، بل فى كل خطوة أخطوها أشعر وكأنى داخل دارى ، وبين أهلى ، ذلك كله لأن شعب الكويت شعب كريم مضياف ، فى كل عاداته السمات الإسلامية السمحة ، فشهر رمضان المعظم له طابع الإجلال ، والاحترام عندهم . فإذا ما أهـل الشهر بجلاله تسابق الناس فى استقباله بالتسبيح ، والاستغفار ، والقيام ، ثم بنحر الذبائح وتوزيعها على الفقراء والمساكين ، فالكويتيون أهل كرم . من عاداتهم إقامة الموائد الغاصة بأنواع الأطعمة خاصة (السريد) للأصدقاء ، والجيران ، والغرباء الذين يعملون فى المصالح الحكومية ، والمدارس .

ومن عاداتهم أيضاً بدء الإفطار بتناول ثلاث حبات من التمر ، وكوب من اللبن سـنة عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ كما أن المساجد تظل مفتوحة

طوال الليل والنهار ، يتلى فيها القرآن الكريم ، ويتدارس قبيل الإفطار ، وبعد صلاة العشاء ، والتراويح ، وحتى ساعة متأخرة من الليل .

والحكومة الكويتية تنظم ساعات العمل خلال أيام الشهر الكريم لما له من قداسة فى نفوس المسلمين ، وتسهيلا على الصائمين من شدة القيظ .

ولعل من أروع ماشاهدته أن أولى الأمر فى الكويت يحرصون على مظاهر الاحتفال بليالى شهر رمضان ، فيقيمون احتفالا كبيراً فى كل مسجد — يؤمه الأهالى من كل حدب وصوب — يقرأ فية القرآن الكريم ويتدارس بعد صلاة العصر ، وحتى قرب موعد آذان المغرب .

وما أن يؤذن المؤذن معلناً حلول موعد صلاة المغرب حتى يخرج الناس لتناول الإفطار ، ثم يعودون للصلاة ، وسماع القرآن حتى صلاة العشاء ، وإلى ساعة متأخرة من الليل .

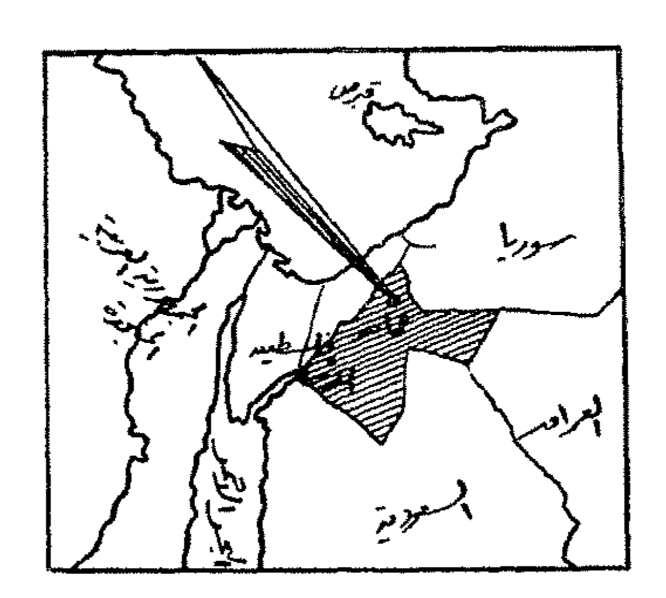
ومن المظاهر الرمضانية الفريدة فى الكويت إقامة حفل كبير بمناسبة ذكرى انتصار المسلمين يوم غزوة بدر الكبرى ليلة التصف من الشهر يحضره عادة الأمير ، والوزراء والأعيان ، كما يقام أيضاً فى كل منزل ، وفى كل مسجد حفل ليلة السابع والعشرين تيمناً بليلة القدر .

* * *

وهكذا رأيت الكويت مبعوثاً من جمهوريتنا العربية المتحدة ، وضيفاً على وزارة الأوقاف ، والشئون الإسلامية الكويتية لإحياء ليالى شهر رمضان المعظم بين إخوة لنا جمعتنا وإياهم راية الإسلام دين السلام ، والهداية والرشاد .

وهكذا رأيت أهل الوطن العربى الشقيق إسوة يحتذى بهم فى الشهامة العربية الأصيلة ، والكرم الفياض النابع عن روح الإسلام ذلك الدين القيم الذى يهب القلوب المؤمنة به نوراً ، ونورانية يستشعرون بها الطريق إلى يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم .


الأردن


قبرص
سوريا
العراق
السعودية

« سُبْحَانَ ٱلَّذِى أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَى ٱلَّذِى بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ »[1]

على طريق الرحلة :

هذه آية كريمة من كتاب الله تعالى نقف منها على أسرار إحدى خوارق العادة — حادث الاسراء والمعراج — الذى يرتبط إرتباطاً وثيقاً بالمسجد الأقصى ببيت المقدس ، يوم حمل سيدنا محمد — صلى الله عليه وسلم — رسالة ربه إلى الانسانية جمعاء ، يدعو لها قلوباً غلفا ران عليها الجهل ، وسيطر عليها الهوى ، وأحقدتها طبيعة الحياة العربية آنذاك ...

إن الرحلة من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى رحلة اختارها الله سبحانه ، وحف بعنايته الالهية رسوله الكريم : تهدف فيما تهدف إلى معنى هام ، فهى تربط بين عقائد التوحيد الكبرى من لدن إبراهيم ، وإسماعيل عليهما السلام إلى محمد خاتم الأنبياء والمرسلين .

وتربط بين الأماكن المقدسة لديانات التوحيد جميعا ، فقدرة الله تعالى لا يحدها زمان ، ولا مكان ، ولا يقف فى طريقها سنن ، ولا يحول بينها وبين

---

(١) سورة الإسراء ... الآية ١

ما تريد نظام فهى تقطع المسافات مهما طالت فى أقل من لمح البصر إذ هى فوق الزمن ، وفوق ما يحده الزمان .

* * *

لمحة من التـــاريخ :

الحديث عن المسجد الأقصى حيث بيت المقـدس يتصل اتصالا وثيقاً بالبلد الاسلامى الذى زرته خلال شهر رمضان المعظم من إحدى الأعوام .

ما أن تركت القاهرة معقل الاســلام والمسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها ، وتوجهت إلى عمان عاصمة المملكة الأردنية الهـاشمية حتى طالعت الوجوه العربية ، والأرض العربية الإسلامية الصميمة مهد الرسالات السماوية منذ أقدم عصور التاريخ .

حدثنى المرافق لى فقال :

« إن الأردن بوجهه الجديد تكون ما بين عامى ١٩٢١ ـ ١٩٢٣ للميلاد ، ويقع فى قلب الوطن العربى الكبير ، تحده سورية شمـالا ، والمملكة السعودية جنوباً ، والعراق شرقاً ، وفلسطين المحتلة غربا .

ويكاد الأردن أن يكون قطراً داخليـــاً لا سواحل له ، إذ يطل بنافذة صغيرة على خليج العقبة ، ناحية الجنوب العربى ، ويقـدر عدد سكانه الآن بالمليون والنصف مليون نسمة ، بعد أن قسمت فلسطين ، وضم جزء كبير من أراضيها إليه خاصة منطقة بيت المقدس التى تضم عدداً كبيراً من المسلمين .

يقول الاردنيون أن أقدم من سكن بلادهم من الشعوب الكنعانيون ، ثم الاوميون ، والعمونيون ، وكلهم نزحوا إلى أرضة عبر الجزيرة العربيـــة طلباً للرزق .

ثم خضعت الأراضي الأردنية على التوالى لسيطرة المصريين ، والبابليين ، والآشورين ، والكلدين ، والفرس ، وأخيراً اليونان ، والرومان ، إلى أن جاءها العرب المسلمون داعين لدين الله القويم فعمروها بعدلهم ، ونشروا فى ربوعها راية الإسلام والسلام .

ولعل من الأشياء التى تستحق الذكر ، والتى يفتخر بها الأردنيون أنهم يعتبرون أرضهم ذات تاريخ حافل منذ مهد الدعوة المحمدية إذ استشهد على ترابها أول مسلم بسبب إسلامه ، وهو عروة بن عمر الجذامى عامل الروم على عمان ، وكان قد اعتنق الاسلام وأرسل للنبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ هدية فاغتاظ الروم من هذا التصرف ، وشددوا الخناق عليه وقتلوه .

* * *

حقائق ومشاهدات :

جولة فى القدس التى أصبحت داخل حدود الأراضي الأردنية تعيد بنا الذكرى حيث كانت أمجاد الدولة الإسلامية العريقة فتنفرد القدس بما لها من قداسة ، واحترام فتاريخها يتميز بطابع دينى بحت منذ جاءها عمر بن الخطاب داعياً لدين محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ ثم الأمويون الذين جاءوها بعده وأولوها اهتماما بالغاً ، إذ بنوا أقدم وأعظم وأجمل مسجدين أثريين فى هذه البقعة من العالم العربى الاسلامى ألا وهما : مسجد الصخرة ، والمسجد الأقصى .

ثم أعقبهم بعد ذلك العباسيون ، والفاطميون ، والأيوبيون ، والمماليك العثمانيون ، حتى كان عام ١٩٤٨ للميلاد حيث نشب النزاع بين العرب أصحاب البلاد ، وأهلها الشرعيين ، وبين الدخلاء اليهود الصهاينة الذين تسربوا إليها مستهدفين إقامة دولة يهودية صهيونية على أرض عربية ـ لعنوا فى الدنيا والآخرة ـ وكان نتيجة هذا النزاع أن قسمت القدس إلى قسمين :

كان القسم القديم ، بأماكنه المقدسة الإسلامية والمسيحية ، تابعاً للأردن ، ويمتد جنوباً نحو حيّ رأس العمود ، وشرقا نحو وادى الجوز ، وجبل الزيتون ، وشمالا نحو حى الشيخ جراح .

* * *

وفى القدس حوالى ٣٦ مسجداً موزعة فى كل أحياء المدينة منها تسعة وعشرون فى المدينة القديمة داخل النطاق العربى ، وسبعة فى داخل الأماكن المغتصبة ، وتقدر عدد المآذن بخمس عشرة مئذنة بما فى ذلك مآذن الحرم الأربع .



المسجد الأقصى

وعلى طريق القدس عند أريحا يوجد مقام (النبي موسى) وعليه جامع ومئذنة، ويزوره المسلمون كل عام ، كما أن فى جنوبى القدس مدينة خليل الرحمن ،

وفيها الحرم الإبراهيمى ومغارة (مكفيلة) التى تشتمل على قبور طائفة من الأنبياء الكرام ، وهم أنبياء الله : إبراهيم ، وإسحاق ، ويعقوب ، ويوسف ، وزوجاتهم الطاهرات . هذا ويسمح للأجانب عادة بزيارة الحرم الإبراهيمى كل يوم عدا أيام الجمعة ، والاعياد .

ولعل من أجمل ما شاهدته أثناء زيارتى المسجد الحسينى بعمان الذى يبلغ من السعة حداً كبيراً ، ويغلب عليه الطابع المعمارى الإسلامى .



الجامع الكبير بعمان

عادات وتقاليـــد :

للأردنيون عادات وتقاليـد عربية توارثها الأبناء عن الأجداد ، فهم عادة ما يبدأون إفطارهم بتناول ثلاث حبات من التمر ، وكوب من اللبن سنة عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ثم يكملون إفطارهم . وما أن ينتهى الإفطار حتى يهرعون إلى المساجد ، والزوايا لسماع القرآن الكريم ، ومدارسته حتى صلاة العشاء ، وبعدها يؤدون صلاة التراويح ، وهى عادة من ثمان ركعات على حزبين .

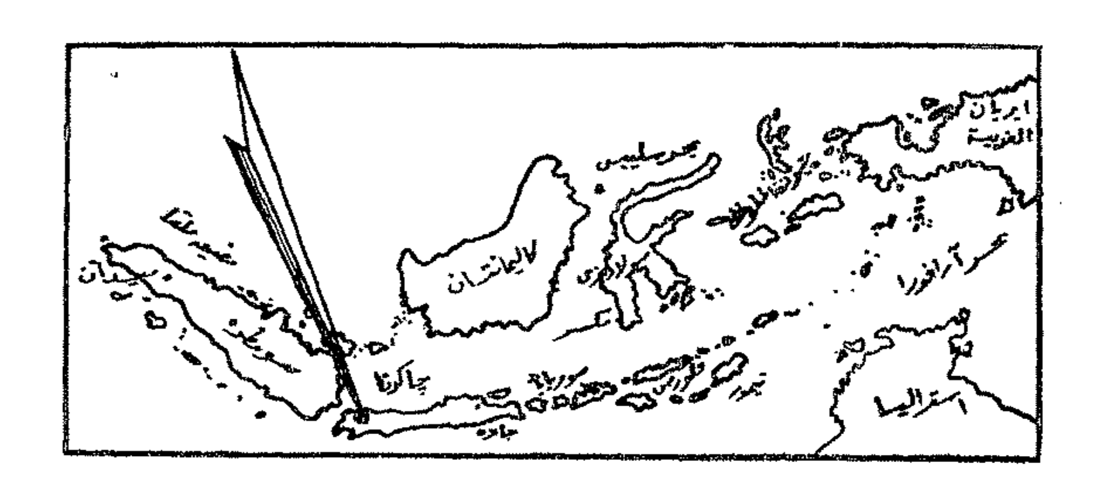
ولعلك معى لترى عظمة الاحتفالات التى تقام فى كل مدينة من المـدن الأردنية طيلة أيام الشهر المبـارك ، فالبشر والسرور يعـلو هامات الناس ، والأضواء والأعلام تزين الشوارع والديار ، والحكومة الأردنية تقيم سرادقاً كبيراً فى العاصمة ـ عمان ـ يتلى فيه القرآن الكريم ، ويتدارس الحديث ، والتفسير قبل حلول موعد الإفطار ، وبعد صلاة العشاء ، وحتى ساعة متأخرة من الليل ، كذلك تحرص الحكومة الأردنية على إقامة حفل كبير ليلة النصف من شهر رمضان تيمناً بنزول القرآن الكريم ، وكذلك الشأن بالنسبة لليـلة السابع والعشرين إحتفالا بليلة القدر .

* * *

وهكذا رأيت الأردن الوطن العربى الإسلامى الشقيق مهد الأماكن المقدســـة التى لا زالت تحمل الطابع الإسلامى العريق منذ القدم ، وحتى يومنا هذا .

وهكذا رأيت إخوة لنا فى الإسلام خلال رحلتى القرآنية جمعتنى وإياهم مبادىء الإسلام ، ذلك الدين السمح الذى يجمع الناس فى صعيد واحد أمام كلمات الله وهدى آياته البينات .

اندونيسيا



ايريان الغربية
بحر سليبس
كاليمانتان
بحر آرافورا
جاكرتا
سورابايا
جاوة
استراليا

« وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْعَالَمِينَ »[1].

كنا عند أخبار رحلتنا القرآنية إلى البلد العربى الإسلامى الأردن الشقيق .

أما رحلتنا التى سنحكى أخبارها الآن فقد كانت إلى أندونيسيا ، تلك البلد الذى زرته أكثر من مرة ، ويعتبر ثانى دولة إسلامية فى العالم من حيث عدد المسلمين به ، إذ يقدر عددهم بنحو ثمانون مليوناً ينتشرون داخل كل الجزر الأندونيسية .

لمحة من التاريخ :

سأترك كرم الضيافة ، وحسن الاستقبال جانبا لأقول :

إن أندونيسيا تقع فى الجنوب الشرقى لآسيا ، تضم عدة جزر أهمها : سومطرة ، جاوة ، بورينو ، سيليس ، جزائر الملوك ، وجزيرة غينية الجديدة .

سألت المرافق عن أصل تسمية بلادهم بهذا الإسم فقال : .

« إن لفظ أندونيسيا : مكون من كلمتين (أندو) بمعنى الهند ، و (نيسيا) بمعنى الجزر ، فأندونيسيا معناها : جزر الهند » .

---

(١) سورة الروم ... الآية ٢١

ولعلك تتساءل معى عن كيفية دخول الإسلام هذه البلاد ؟ .

أجاب تساؤلى هذا أحد العلماء الأندونيسيين أنفسهم قال :

« إنه منذ أقدم العصور تواردت على بلادنا أديان كثيرة ، واعتقادات متنوعة منها : البراهمة ، والكونفوشيوسية ، والبوذية ، والمسيحية » .

واتفقت كتب التاريخ أنه فى القرن الحادى عشر للميلاد حمل التجار المصريين الدين الإسلامى ، ولغته ، وثقافته إلا تلك البقعة من الأرض ، كاساهم الفرس أيضاً فى هذا المضمار فكانوا يقومون برحلات إلى الجزر الأندونيسية قاصدين التجارة ، ونشر الإسلام بين الأهالى .

ومن جانب آخر كان أهل الجزر أنفسهم يضربون فى فجاج البلاد الإسلامية قاصدين التجارة ، فيقتنعون بالإسلام ديناً فيعتنقونه ، ويرجعون دعاة يعملون على نشره ، وزيوعه بين الأهالى .

منذ ذلك الحين اتسعت الصلات الروحية والمعاملات التجارية بين الجزر الأندونيسية ، وموانى جنوب الهند ، والخليج العربى ، وجنوب الجزيرة ، مما أدى إلى سعة انتشار الإسلام ، والعمل على إنشاء المساجد ، والتكايا ، والمعاهد الدينية .

يقول المؤرخون :

« إنه تكونت فى القرن الثانى عشر مملكة إسلامية فى سومطرة الشمالية ، كان الملك الكامل أقدم ملوكها » .

ويظن أنها تكونت على أثر التيار الإسلامى الذى بدأ ينتشر فى الجزر الأندونيسية حينذاك ، وأن التجار ، ومن رافقهم من العلماء كان لهم فضل السبق فى حمل مشعل الدعوة الإسلامية إلى هذه البقاع من الأرض .

حقائق ومشاهدات :

وعشت أياماً طيبة أحسست خلالها أنى بين أهلى وعشيرتى ، رأيت خلالها معالم الإسلام هناك ، رأيت الجمعية المحمدية التى تحمل لواء الدعوة الإسلامية منذ أمد بعيد ، بها قسم خاص مهمته نشر الرسالة الدينية والاجتماعية بين السيدات يعرف باسم (العائشية) تيمناً باسم السيدة عائشة زوج الرسول ﷺ .



الرئيس أحمد سوكارنو يعانق فضيلة الامام الاكبر الراحل الشيخ محمود شلتوت
أثناء زيارة فضيلته لأندونيسيا

ومما هو جدير بالذكر أن هذه الجمعية أنشأت الكثير من المدارس والمعاهد الخاصة بالفتيات فى جميع أنحاء الجزر الأندونيسية . ومن مؤسساتها الجديدة دار لحفظ القرآن الكريم للبنات فى بلدة كومان ، وأخرى فى جوديان ، بخلاف عدة مدارس فى بلدة مسويودان .

وفى أندونيسيا جمعية إسلامية تسمى (نهضة العلماء) أسسها نخبة من علماء الشافعية فى يناير من عام ١٩٢٦ للميلاد .

وأيضاً هناك من المنظمات الإسلامية التي حدثني عنها العلماء (جمعية الاتحاد الإسلامي) وهي ذات نفوذ قوي ، تأسست قبل الحرب العالمية الثانية تحت رعاية عالم أندونيسي كبير بجاوة الغربية ، وامتدت خدماتها حتى شملت أغلب الجزر الأندونيسية .

وهناك أيضاً مجلس شورى أندونيسيا ، يرمز إليه بلفظة (ماشومى) يضم مندوبي المنظمات الإسلامية في كل أنحاء أندونيسيا .

ولا يفوتني أن أذكر أن هناك في أندونيسيا وزارة للشئون الدينية تحمل على عاتقها مهمة التعريف بالإسلام ، وتوضيح الأمور الدينية والشرعية للناس .

ولقد تجولت في العاصمة جاكرتا محل إقامتي ، فراعني الجامعة الإسلامية الكبيرة ، التي تضم آلافاً من الطلبة يدرسون العلوم الشرعية والفقهية والتفسير والحديث ، كما رأيت الآثار القديمة خاصة المقبرة المغربية التي زينت بكتابات عربية من المرمر غاية في الروعة والاتقان .

ولعلك تتعجب إذا قلت لك أني سمعت الناس أثناء حديثهم ينطقون كلمات عربية صرفة مثل : (كرسي ، وصابون ، وقرطاس ، وسلام ، واستراحة) ونحو ذلك ، الأمر الذي جعلني أتساءل .....

لكن مرافقي أكد أن في اللغة الأندونيسية ألفاظاً عربية كثيرة لازالت تعيش منذ القدم يستعملها الناس في معاملاتهم اليومية ، وأثناء حديثهم إلى يومنا هذا .

عادات وتقاليد :

وكنت شغوفاً أن أعرف أهم العادات والتقاليد التي تتميز بها الجزر الأندونيسية سألت أحد العلماء أجاب قائلا :

« إن لكل جزيرة طابع يميزها عن الاخرى ، غير أن هناك إتفاق تام فى بعض المظاهر التى تتسم عادة بالمشاركة خاصـة المناسبات الإسلامية ، كيوم المولد النبوى الشريف ، والاعياد الإسلامية ، وكاستقبال شهر رمضان المعظم ، فالاندونيسيون جميعاً يستقبلونه بذبح الذبائح ، وإقامة الاحتفالات فى كل المساجد والمصالح الحكومية ، بل لقـد بلغت بهم الحفاوة بشهر رمضان المعظم أن بعض المدارس كانت تغلق قبل عام ١٤٦٢ للميلاد خاصة الوطنية الاسلامية منها ، ككلية المعلمين فى سومطرة ، ومدرسة إعداد المرشدات ، والواعظات ، والمدرسات الدينيات التى أنشأتها (السيدة رحمة اليونسية عام ١٩٢٢ للميلاد) .

* * *

ولعـلك معى لترى عظمة مساجد أندونيسيا التى تجمع بين الطابعين الاسلامى والاوربى ، كمسجد ديماك (وهو من أقدم المساجد الاندونيسية) ، ومسجد الشهداء (الذى بناه الرئيس سوكارنو فى باندونج) ومسجد بيت الرحيم فى ساحة القصر الجمهورى فى جاكارتا ، وأيضاً مسجد الاستقلال فى جوجوكرتا ، ومسجد أمبيل فى مدينة سورابايا .

ومن عادات أهل الجزر الاندونيسية فتح المساجد طوال ليالى شهر رمضان لتلاوة القرآن الكريم ويسمى (تداروس) .

كذلك لهم عادات فريدة تكاد لا ترى مثيلا لها ، فهم يقدمون الحـــلوى وتسمى (كولاق) بين صلاة العشاء ، وقبيل أداء صلاة التراويح .

واسترعى انتباهى تناوب شباب الحى فى إيقاظ الاهالى للسحور مستعملين آلة تشبه (الطبلة) تسمى (بدوق) ، زيادة على إطلاق المدافع ثلاث مرات ، مرة للايقاظ ، ومرة للتنبيه بقرب حلول موعد الإمساك عن الطعام والشراب ، وثالثة للامساك نهائياً وبداية صوم يوم جديد من أيام رمضان الكريم .

وتتميز أندونيسيا عن غيرها من البلدان الاسلامية الاخرى فى أنها تقيم حفلا كبيراً ليلة السابع والعشرين من شهر رمضان ، يدعى إليه جميع فئات الشعب لتشارك رئيس الجمهورية فى الاحتفال بليلة نزول القرآن الكريم ، يظل هذا الحفل طوال الليل ، وحتى موعد السحور حيث يتناول الحاضرون سحورهم على مائدة رئيس الجمهورية الاندونيسية .

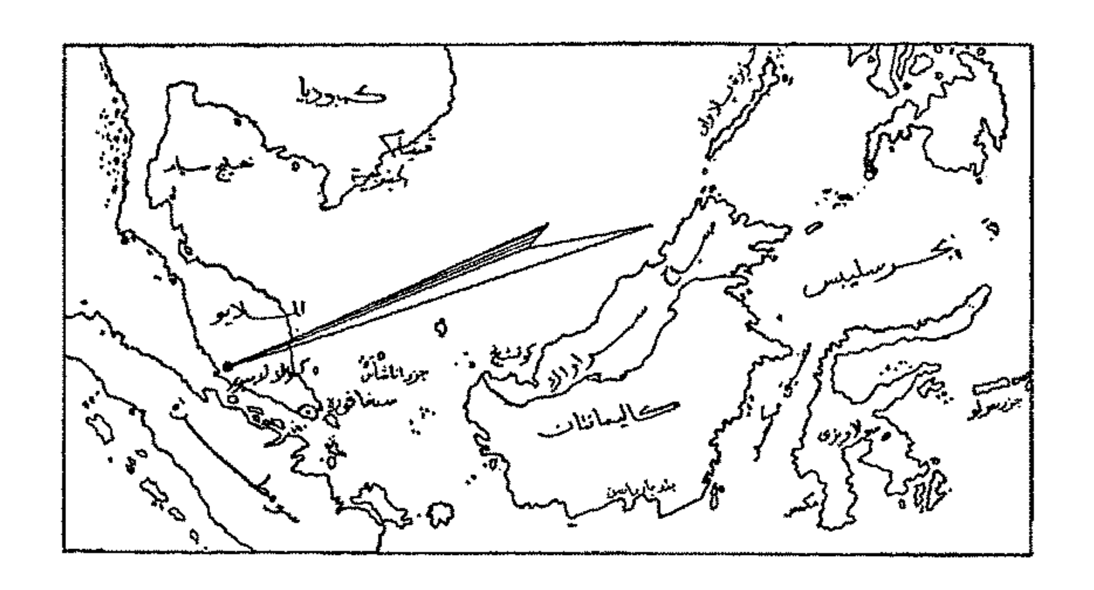
* * *

وهكذا ترى أندونيسيا كلها فى أعياد ، واحتفالات طوال أيام شهر رمضان المعظم .

وهكذا عشت أياماً بين إخوة لنا فى الإسلام لا نحس بينهم بتباعد الديار ، ولا اختلاف اللون أو اللسان ، بل بشاشة ، وحسن لقاء ، وترابط وتآخ فى الإسلام .

وهكذا رأيت عادات وتقاليد مسلمى أندونيسيا ، وهم يشكلون السواد الأعظم من سكان البلاد ، ويغلب عليهم المذهب الشافعى .

ماليزيا



كمبوديا
خليج سيام
الملايو
جزر ناتونا
سنغافورة
كالمانتان
بحر سليبس

« اللهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ »[1]

لمحة من التاريخ :

فى إحدى الأعوام سافرت إلى ماليزيا تلك البلد المسلم ، الذى يقع داخل نطاق شبه جزيرة الملايو فى الجنوب الشرقى لآسيا ، وكانت ماليزيا تابعة للملايو فترة طويلة ، إلى أن استقلت ، وأصبحت دولة قائمة بذاتها ، تتصل بالهند الصينية شمالا ، ويحيط بها شرقاً بحر الصين ، وغرباً خليج البنغال ، وإلى الجنوب منها جزيرة سنغافورة ـ التى يفصلها عنها البوغاز العظيم الذى يسمى (سيلات تميراو) .

وتتكون ماليزيا من أحد عشر ولاية أهمها :

ولاية جهوبهارو : التى تجاور سنغافورة ، وليس بينهما سوى مسافة البوغاز ، وولاية كلانتن ، وولاية فينلنج ـ التى تعتبر أهم دائرة جمركية فى ماليزيا كلها ـ

ثم ولاية كفالاباتس ـ ومن الطريف أنها تسمى أيضاً بولاية (رأس البر)ـ

---

(١) سورة البقره ... الآية ٢٥٦

وولاية قدهى ، وهى كما علمت الولاية التى ولد فيها السيد / تنكو عبد الرحمن رئيس الوزراء .

ثم ولاية كوالاكنسجار – ومن الطريف أيضاً أن بها مدرسة تسمى مدرسة الاسكندرية .

وولاية الوستار ، ثم ولاية برليس .

* * *

لعلك تتساءل معى متى دخل الإسلام هذه البلاد ؟

روى لى أحد العلماء أنه من الصعب أن يحدد تاريخ دقيق لدخول الإسلام وانتشاره بين أهالى تلك البقعة من الأرض . غير أنه من المؤكد أن العرب كانت لهم صلات كثيرة بشبه جزيرة الملايو كلها .

كان ذلك منذ أمد بعيد ، ففى القرن الثانى للهجرة كان للعرب تجارة مع سيلان ، وما جاورها .

وفى القرن الثامن للهجرة زاد عدد التجار الوافدين ، حتى أن عدداً كبير منهم استوطن أغلب المدن الكبيرة فى شبه جزيرة الملايو كلها .

وحكى لى أحد العلماء الأفاضل قصة طريفة تدور على ألسنة السواد الأعظم من الأهالى خلاصتها أن الإسلام دخل شبه جزيرة الملايو كلها عن طريق أحد العلماء العرب المسلمين ، يدعى الشيخ عبد الله ، الذى بدأ بدعوة سلطان البلاد آنذاك ، فسارع بالتصديق ، والدخول فى دين الله رب العالمين .

بل وسمى أولاده بأسماء عربية إسلامية وأخذ فى تشييد المساجد ، والزوايا فى كل أنحاء البلاد .

ثم توالى الناس فى الدخول فى الإسلام ، حتى أصبح دين أغلبية السكان ،

كما أصبح للمسلمين خاصة ، والعرب المهاجرين عامة حي خاص عرف بإسم « الحي العربي الإسلامي » .

وهكذا إتسعت رقعة الدعوة الإسلامية حتى عمت شبه جزيرة الملايو كلها ، وماليزيا على وجه الخصوص .



السيد تنكو عبد الرحمن رئيس وزراء ماليزيا والشيخ محمود الحصرى شيخ عموم المقارىء العربية ورئيس هيئة التحكيم فى المسابقة الدولية للقرآن الكريم بماليزيا

حقائق ومشاهدات :

وعشت أياماً طيبة أحسست من خلالها مدى عظمة الإسلام فى تلك البلد النائى ، تجولت بين ولاياته الأحد عشر أحيي ليالى شهر رمضان المعظم بقراءة القرآن الكريم ومدراسته .

ولأحكى لكم بعض مشاهداتى هناك ، فكم راعنى مارأيت من المساجد

الماليزية ، فهناك مسجد هارون ، ومسجد كامبنجيارو ، ومسجد علم شاه ، والمسجد الملاوى ، وكلها بالعاصمة كوالا لمبور .

ثم مسجد السلطان أبو بكر ، ومسجد بندر فنتيان بمدينة فنتيان ، ومسجد بندر باتوفاهت بمدينة باتوفاهت ، وهى الأخرى بولاية جهور بهاور .

ثم مسجد موار فى مدينة موار ، ومسجد ملاكا بمدينة ملاكا ، وأيضاً مسجد كفالاباتس ، ومسجد سبرانج فراى بمدينة فينتج وهى - أى تلك المساجد السالفة الذكر - بولايات ماليزيا المختلفة .

والمشاهد أن هذه المساجد كلها تعد آية فى الأبهة ، وغايه فى الفن المعمارى الإسلامى الأصيل .

ومن الأشياء التى لابد أن أذكرها فى هذا المقام ، أنى رأيت فى ولاية فينتج مدرسة دينية كبيرة تسمى (مشهور الإسلامية) أسسها (الأستاذ حسين رفيع) من أبناء الجمهورية العربية المتحدة ، الذين أقاموا بماليزيا منذ زمن طويل .

كما أن هناك فى ولاية قدح شيخ قارىء من بلدة (إبيار مركز كفر الزيات) أقام منذ خمسين عاما تقريباً ، تتلمذ على يديه عدد كبير جداً من أبناء ولاية قدح بماليزيا خاصة ، ومن كل أنحاء جزر الملايو عامة .

حدثنى أحد العلماء أن فى بلادهم تراثاً إسلامياً لا يجارى خاصة أوفى نسخة لكتاب (ألف مسألة) وهو يعد أول كتاب عربى عن الإسلام عرفته أوربا منذ فجر نهضتها ، وهو دليل واضح على أن لغة شبه جزيرة الملايو بما فيها ماليزيا كانت إحدى اللغات التى كان لها فضل السبق فى نشر الثقافة والفكر الاسلامى على أوسع نطاق .

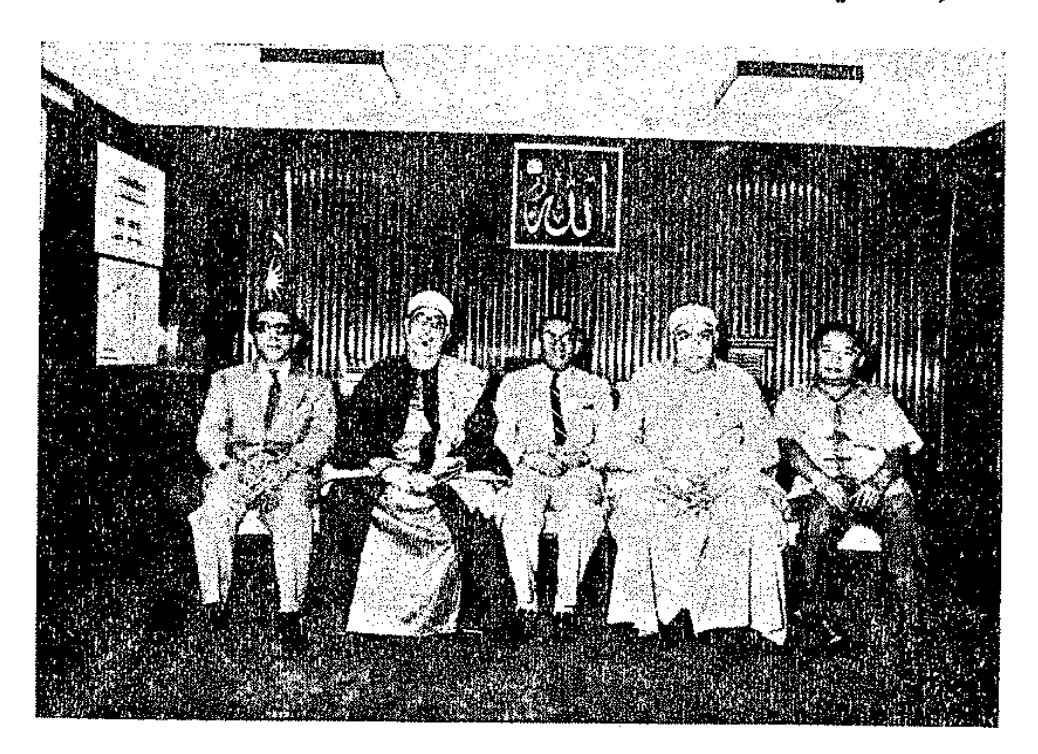
* * *

عادات وتقاليد :

ولعلك تسألنى عما تميزت به ماليزيا عن غيرها من البلدان الإسلامية خلال شهر رمضان المعظم ؟

والإجابة عن هذا السؤال أقول :

إن لماليزيا عادة متوارثة تكاد لا ترى لها نظير فى أى بلد إسلامى آخر ،



يتوسط الصورة السيد/ ناصر بن اسماعيل الشهاب
المشرف على مسابقة القرآن الكريم الدولية فى ماليزيا

فهناك فى كل ولاية من ولاياتها الأحد عشر ، تعقد مسابقة للقرآن الكريم ، يرأس لجانها هيئة مكونة من رئيس الشئون الدينية للولاية ، والقاضى الشرعى، ثم المفتى ، إلى جانب عدد من العلماء الذين يعرفون أصول القراءات ، ويجيدون اللغة العربية .

وعادة ما تنتهي المسابقة صباح اليوم الثانى والعشرين من الشهر ، وترسل كل ولاية الأول والثانى من الناجحين إلى العاصمة كوالالمبور ، حيث تقام هناك المباراة الكبرى بين هؤلاء الناجحين من الأحد عشر ولاية ، وبين القراء القادمين من جميع البلاد الاسلامية : (كالهند — باكستان — أندونيسيا — الفيلبين — تايلاند — بورما ، والبلاد الأخرى المجاورة التى تدعوها هيئة تحكيم المباراة قبل رمضان بشهر تقريباً) .

وهى عادة – أى اللجنة المنظمة للمسابقة الكبرى – ما تطلب من كل دولة أن ترسل وفداً مكوناً من اثنين من خيرة قرائها ، مع مبعوث يلازمهم طيلة فترة الإقامة .

تقدم لهم الحكومة الماليزية كافة التسهيلات ، كأن ترسل لكل وفد من الوفود المدعوة ثلاث تذاكر سفر بالطائرة بالدرجة الأولى ذهابا وإيابا ، كما تخصص لكل وفد جناحا خاصاً فى فنادق الدرجة الأولى بالعاصمة ، ومرافق يجيد لغة بلدهم ، واللغة العربية أيضاً .

وهذه المباراة الكبرى تقام يوم الثالث والعشرون من شهر رمضان ، فى الملعب الكبير بالعاصمة الماليزية ، يخصص لكل قارىء مدة عشر دقائق يقرأ خلالها مايختاره من كلام الله فى المصحف إن لم يكن حافظاً لم اختاره .
وفى نهاية (العشر دقائق) يدق جرس معلناً إنتهاء وقت المباراه ليقول القارىء (صدق الله العظيم) ثم يبدأ متسابق آخر ... وهكذا إلى أن ينتهى المتسابقون جميعاً .

ومما هو جدير بالذكر أن هذه المبارة يحضرها ملك ماليزيا ، ورئيس الوزراء والوزراء ، ووزراء الولايات ، وجميع الشخصيات الكبيرة التى دعيت بدعوة خاصة لحضور هذه المبارة ، كما يحضرها جمع غفير من أبناء الشعب من جميع الولايات لما لها من روعة وجلال.

ولعلك تتساءل أيضاً : عمن يحكم هذه المباراة الكبرى ؟ .

ونجيب تساؤلك بأنه عادة مايحكمها هيئة مكونة من شيخ قراء الجمهورية العربية المتحدة أو من ينوب عنه ، وكبار علماء الدين فى ماليزيا .

ومن الطريف أن فى اليوم التالى للمباراه تقدم الجوائز المالية التى خصصت للمتسابقين ، فالفائز الأول يحصل على مكافأة قدرها ألف دينار تقريباً ، وكذا العشرة الأوائل لكل منهم مكافأة قدرها خمسمائة دينار وأيضا لكل وفد من الوفود المشتركة هدية ثمينه .

* * *

ومن العادات الرمضانيسه التى شاهدتها هناك ، وتستحق الذكر ، أنهم فى كل مسجد من المساجد ، ما أن ينتهون من صلاة التراويح حتى يلتفون حول المقرىء لسماع ماتيسر من آى الذكر الحكيم ، بعده تمتد الموائد عليها أنواع شتى من الحلوى ، والفاكهه تقدم للحاضرين فى حجرة خاصة ألحقت بالمسجد لهذا الغرض .

ولقد إمتدت بى الاقامة من بداية شهر رمضان المعظم إلى نهايته ، رأيت خلالها عدة إحتفالات عامة أهمها :

الاحتفال الكبير الذى أقيم ليلة النصف من الشهر تيمناً بذكرى انتصار المسلمين فى غزوة بدر .

ثم الاحتفال الهائل الذى أقيم ليلة القدر ، ليلة السابع والعشرين من الشهر .

(وأحب أن أنوه هنا بمدى التقدير الذى يحظى به مبعوث الجمهورية العربية المتحدة لإحياء ليالى شهر رمضان المعظم بماليزيا ، فعندما كان لى الشرف أن أبعث إلى هناك فى تلك العام الذى حدثتكم عن مشاهداتى خلاله ، خصص لى

السيد رئيس الوزراء ـ زيادة فى التكريم ـ طائرة حربية أنتقل بها من ولاية إلى أخرى للتحكيم فى مسابقة القرآن الكريم .

كما أن جلالة الملك تفضل فأمر بأن أصلى بهم صلاة العيد ، وأقرأ لهم ما تيسر من القرآن الكريم أثناء الصلاة التى اعتادوا إقامتها على حديقة كبيرة جداً ألحقت بالقصر الملكى تتسع لآلاف من المصلين الذين يحضرون من كل الولايات للصلاة مع الملك ، ولسماع القرآن الكريم بعد صلاة العيد خاصة من مبعوث الجمهورية العربية المتحدة التى لها مكانة كبيرة فى قلوب كل أبناء ماليزيا).

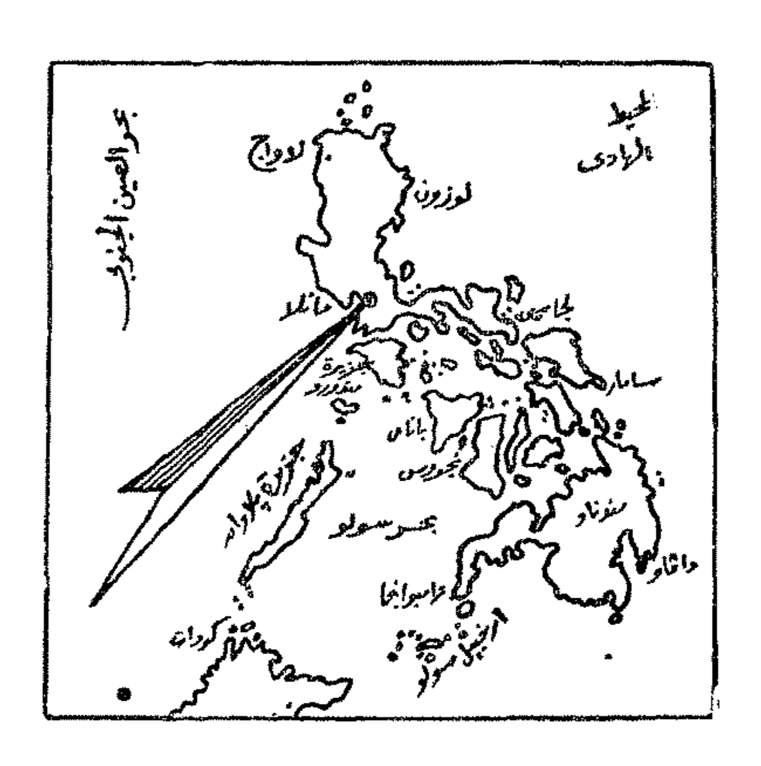
* * *

وهكذا زرت ماليزيا تلك البلد المسلم الذى لا يبخل أولى الأمر فيه بالجهد والتضحية بكل شىء فى سبيل تحفيظ القرآن الكريم ومدارسته ، ونشره فى كل ربوع بلدهم ، وهو شعور فريد لم أرى له نظير فى أى بلد إسلامى زرته خلال رحلاتى القرآنية كلها .

وهكذا رأيت المباراة الكبرى بين ولايات ماليزيا كلها فى حفظ القرآن الكريم (وعادة ما تقام كل عام خلال شهر رمضان المعظم تبركا وابتهاجا به) .

وهكذا عشت أياما طيبة فى ماليزيا استشعرت من خلالها مدى عظمة ديننا الحنيف ـ دين الرحمة ، والمحبة ، والسلام ـ فى قلوب إخوة لنا بعيدة أوطانهم ، قريبة قلوبهم ، عامرة بصائرهم بذكر الله : « ألا بذكر الله تطمئن القلوب » .

الفيليبين


بحر الصين الجنوبي
المحيط الهادى
لوواج
لوزون
مانيلا
سامار
باناى
نجروس
بحر سولو
جزيرة بلاوان
زامبوانجا
أرخبيل سولو

«وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا
لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ ءَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ قُلْ
هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ
لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ
عَمًى أُولَٰئِكَ يُنَادَوْنَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ»(1)

لعل من بين البلاد العديدة التى زرتها خلال رحلاتى القرآنية بلاد تقع فى أقصى القارة الآسيوية ... ألا وهى الجزر الفيلبينية .

لمحة من التاريخ :

ما إن هبطت بنا الطائرة فى مانيلا أكبر الجزر مساحة وأعظمها إزدحاما بالسكان حتى استقبلنى وفد كبير من أبناء الإسلام ، على رأسهم عالم جليل رافقنى طيلة إقامتى هناك ، أخذ يشرح لى كل مادار بخلدى من استفسارات وأسئلة .

قال مجيباً على أحد هذه الاستفسارات :

تقع الجزر الفيلبينية بين المحيط الهادى شرقا ، وبحر الصين الجنوبى غربا ، وبحر سلبس جنوبا ، ويبلغ عددها – أى هذه الجزر – ما يقرب من ١٢٠٠ جزيرة ، أشهرها لوسون ، ومجموعتا جزر بابوان ، وكالوميان . وتتميز بطبيعتها الجبلية البركانية ، رغم أن الماء يحيط بها من كل جانب .

خطر ببالى أيضاً أن أسأله عن أصل تسمية بلادهم بجزر الفيلبين ؟ .

لكنه بادرنى قبل أن أبدأه بالسؤال قائلا : أما عن تسمية بلادنا بالجزر

(١) سورة فصلت ... الآية ٤٣

الفيلبينية ، فيرجع تاريخها إلى زمن بعيد ـ على وجه التحديد عام ١٥٦٨ للميلاد ـ يوم جهز فيليب الثـانى ملك أسبانيا آنذاك جيشاً ، وأسطولا كبيراً ، كانت وجهته بلادنا ، التى بلغها بعد عناء وجهد شديدين .

ولما كان لكل جزيرة من هذه الجزر إسما خاصاً بها ، فقد رأى قواد هذه الحملة أن يطلقوا عليها إسما موحداً ، فسموها « الجزر الفيلبينية » نسبة إلى ملكهم فيليب .

ومن هنا كان أصل هذه التسمية .

* * *

تقول كتب التاريخ أنه فى أواخر القرن الرابع عشر كان بين أهالى هذه الجزر ، وبين التجار العرب المسلمين القادمين من الجزيرة العربية خاصة والبلاد الإسلامية عامة صلات تجارية ، فقد أتاح الفيلبيون الفرصة أمام هؤلاء التجار للتعامل ، والإختـــلاط بهم ، حتى أصبح بينهم مصاهرات ، وعلاقات عائلية إزدادت يوما بعد يوم ، وسنة بعد أخرى .

كما أتاحوا الفرصـة أيضاً أمام الدعاة ، الذين جاءوا إلى بلادهم البعيدة متحملين مشاق السفر ، لا بقصد التجارة ، إنما بقصد دعوة هؤلاء الناس عملا بقوله سبحانه وتعالى :

« ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ »[1]

---

(١) سورة النحل ... الآية ١٢٤

ولعل من الظواهر الهامة التى لابد أن أنقلها إليكم إهتمامهم البالغ بإقامة الحلقات العلمية فى كل مسجد أو زاوية خاصة بعد صلاة الجمعة يتدارسون فيها القرآن الكريم ، والأحاديث النبوية الشريفة .

روى لى شيخ مسجد مانيلا أثناء لقائى به فى إحدى هذه الحلقات : أن كثيرين من الدعاة قصدوا الجزر الفيلبينية ، كان أشهرهم رجل وقور ، على جانب كبير من العلم والمعرفة اسمه « وجيه الكيلانى النابلسى » طاف أغلب الجزر داعيا الأهالى ـ متعددى الديانات ـ إلى الدخول فى الإسلام . دين المحبة ، والرحمة ، والوضوح .

كان لهذا العالم الفضل كل الفضل فى ازدياد الداخلين فى زمرة الإسلام ، والتعريف بمادئه ، وقيمه الصحيحة . (ومما هو جدير بالذكر ، أنه أصبح لهذا الداعى منزلة كبيرة لابين المسلمين فحسب ولكن بين الأهالى جميعاً ، وعرف هناك باسم شيخ الإسلام) .

هكذا كان شأن الإسلام والمسلمين فى الجزر الفيلبينية قديما ، أما اليوم فهم فى إزدياد مضطرد ، إذ يتراوح عددهم بين المليونين أو الثلاثة ملايين من المجموع الكلى للسكان البالغ عددهم حوالى ٣٢ مليونا ، يغلب عليهم المذهب الشافعى ، كما ينتشرون بين كوتاباتو ، دافو ، لانوا ، سولو ، وزامبونجا .

وأثناء وجودى بتلك البلاد أحسست مدى تأثر المسلمين بالقاهرة منارة الفكر ، وقلب الإسلام النابض ، فهم حريصون كل الحرص على أن تبعث إليهم الجمهورية العربية المتحدة بمن يقومون بتفقيه ، وتعليم اللغة العربية لأبنائهم فى المدارس والمعاهد الإسلامية التى حرصوا على إقامتها كى ينشأ صغارهم على مبادىء ، وقيم الدين الإسلامى الحنيف .

* * *

حقائق ومشاهدات :

رغم أن المسلمين يعتبرون أنفسهم أقليـة إلا أنهم يعتزون اعتزازاً ظاهرا بدينهم ، ويفخرون به ، يظهر ذلك جليـاً فى كل المناسبات الإسلامية ، تجدهم مثلا يحرصون على إقامة حفل كبير بمناسبة ذكرى الإسراء والمعراج ، كما يقيمون حفلا آخر يوم عاشوراء الذى يقام خلال شهر صفر من كل عام .

أما الاحتفال الكبير الذى يتحدثون عنه دائماً ، ويعدون له العدة كل عام ، فهو إحتفالهم بالمـولد النبوى الشريف ، يبـذلون قصارى جهدهم فى تنظيمه ،



السناتور أحمد النتو زعيم مسلمى الفيلبين

والارتفاع به إلى أعلى مستوى من الاحتفالات ، إذ يستمر طوال شهر ربيع الأول .

وإذا ما تجولت داخل هذه الجزر ، وجدت المساجد ، والمعاهد ، والجامعات الإسلامية ، فهناك من المساجد : مسجد كوتاباتو ، ومسجد دافو ، ومسجد

لانوا ، ومسجد سولو ، ومسجد مانيلا ، ومسجد بارانج . وهناك أيضاً مسجد مشهور سمى بمسجد الإمام الشافعى .

كما أن بالفيلبين جمعيات دينيـة كثيرة أغلبها ملحق بالمساجد ، وأهمها جمعية مسلمى الفيلبين التى يرأسها السناتور أحمد التنو ، كما أن هناك أيضاً جامعة كامل الاســـلام ، ومعهد الدراسات الإسلامية ، وهما المكانان المختاران لإقامة الاحتفالات الكبيرة ذات الطابع الإسلامى ، خاصة ما يقام فيها خلال شهر رمضان المعظم ، وأيضاً هناك من المعاهد معهد منداناو لتحفيظ القرآن الكريم.

* * *

عادات وتقاليد :

وعشت أياماً طيبة متنقلا خلالها من جزيرة إلى أخرى ، رأيت فى عاداتهم الرمضانية سمات يتميزون بها ، فمثلا عندما تثبت رؤية الهلال ، ويعلن فى الإذاعة بداية شهر رمضان الكريم ، ترى الشيوخ يتجمعون فى شكل مجموعات كل مجموعة تقوم بمسيرة تطوف فيها أغلب الشوارع والميادين ، وهى تنشد الأغانى ، والابتهالات ، إلى أن تنتهى عند أقرب مسجد ، أو زاوية بالنسبة لسكنها حيث تستقر فيه طيـلة شهر رمضان المعظم (لأنه عطلة اختيارية ، إيقاناً منهم بأنه شهر العبادة ، والتقرب إلى الله سبحانه ، ولابد من التسابق للاعتكاف فى المساجد لأنها عندهم هى الأماكن المختارة للقاءات الدينية ، والعائلية خلال شهر رمضان على وجه الخصوص كإحدى عاداتهم المتوارثة) .

ولعلك معى تتناول الإفطار على إحدى الموائد الفيلبينية لتراهم عادة مايبدءون الإفطار بتناول مشروب خاص صنع من الموز ، والسكر ، ولبن جوز الهند ، ثم يقومون بعد ذلك بتناول بقية الإفطار المكون عادة من مجموعة من الأطعمة المفضلة أهمها ، حساء السمك ويسمى (تسى يولاء) و (الكارى كارى)

و (السي بوان سوان) ويصنعان عادة من اللحم والبهارات ، أو من اللحم والسمك .

وما أن ينتهون من الإفطار حتى يسرعون إلى المساجد والزوايا لأداء صلاة العشاء ، والاستماع إلى القرآن الكريم ، ومدارسته ، ولأداء صلاة التراويح فهي واجبة الأداء عندهم ، وتتكون من عشرين ركعة تصلى على حزبين .

ومن الاشياء الملفتة للنظر أنهم يستمرون في أداء الاذكار والابتهالات ، بعد الانتهاء من صلاة التراويح ، وحتى ساعة متأخرة من الليل ، بعدها يخرجون للسحور ثم يعودون مرة أخرى لصلاة الفجر .

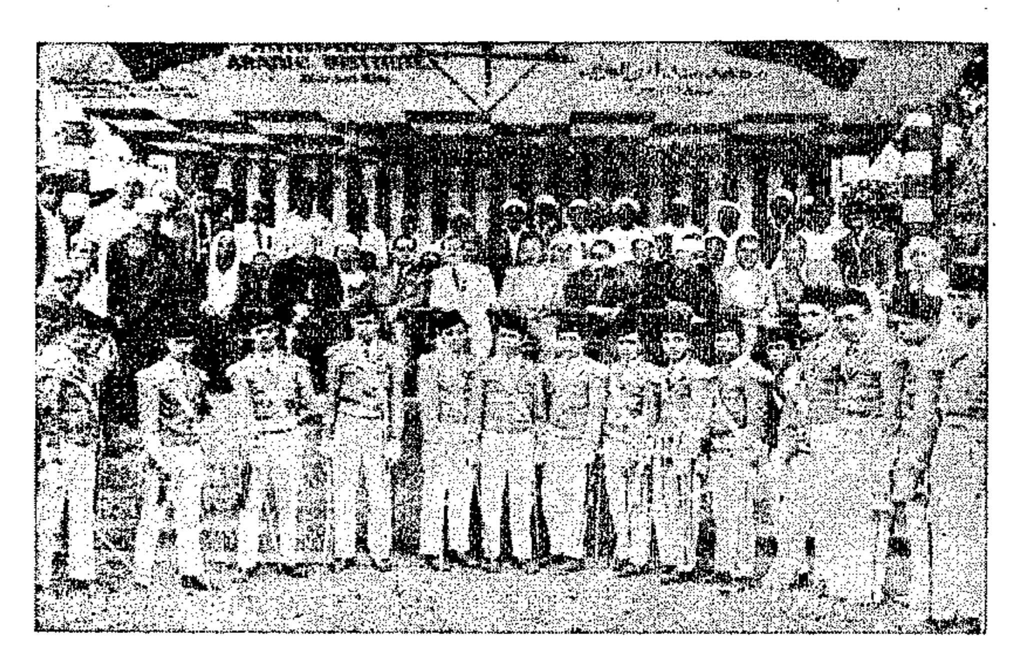
* * *

وكما يحتفل الكبار بقدوم شهر رمضان ، وبلياليه الكريمة ، فالصغار أيضاً يحسون أحاسيس آبائهم فتروهم يعيشون أيام رمضان في بهجة ، ومرح ، كل ليلة ، وبعد الإنتهاء من الإفطار يخرجون مرتدين الملابس المزركشة حاملين في أيديهم ما يشبه الفوانيس الملونة عندنا ، يطوفون المنازل في شبه موكب ، يغنون أغانيهم الوطنية ، حتى يصلوا أقرب مسجد ، حيث يجلسون في شبه حلقات ينتظرون انتهاء صلاة التراويح ، وخروج آبائهم فينثرونهم بالورود ، والحلوى ، وهذه عادة فريدة يتميز بها أطفال الجزر الفيلبينية .

وهكذا تظل الأحياء المسلمة مستيقظة إلى قرب موعد السحور حيث يخرج الاطفال مرة أخرى في شكل مجموعات يطوفون المنازل لإيقاظ من غلبه النوم لتناول السحور .

ولعل من بين ما رأيت من عاداتهم عادة لم أرى لها نظير في كل البلاد التي

زرتها ، فهناك تقضى الأسر الفقيرة أيام الشهر كله متنقلة على موائد الأسر الموسرة دونما حرج ـ فهم يتسابقون ليكون لكل منهم شرف الاستضافة ، إيقاناً منهم بأن هذا عمل لابد منه تحقيقا لأمر الله سبحانه وتعالى ، وحتى يشعر الفقير ببهجة شهر رمضان ، كما يشعر بها الغنى على حد سواء ـ



صورة تذكارية لزيارتى لمعهد منداناو العربى (مدرسة تحفيظ القرآن)

ومن عاداتهم أيضا جمع صدقات رمضان ، ويقوم شيخ كل مسجد أو زاوية بتوزيعها بنفسه على الفقراء كل حسب حاجته ـ وعادة ما يكون هذا ليلة النصف من الشهر الكريم .

ولو أنك سألت أحد علماء الفيلبين عن كيفية توزيع زكاة الفطر عندهم ... لأجابك بأن الاهالى يجمعونها فى شكل جماعى من بعضهم البعض ، ثم يوزع جزء منها على الاسر المحتاجة دون أن يحس أو يسمع بها أحد ، أما الجزء الباقى فيودع صندوق يصرف منه على الجمعيات والمشاريع الإسلامية العامة .

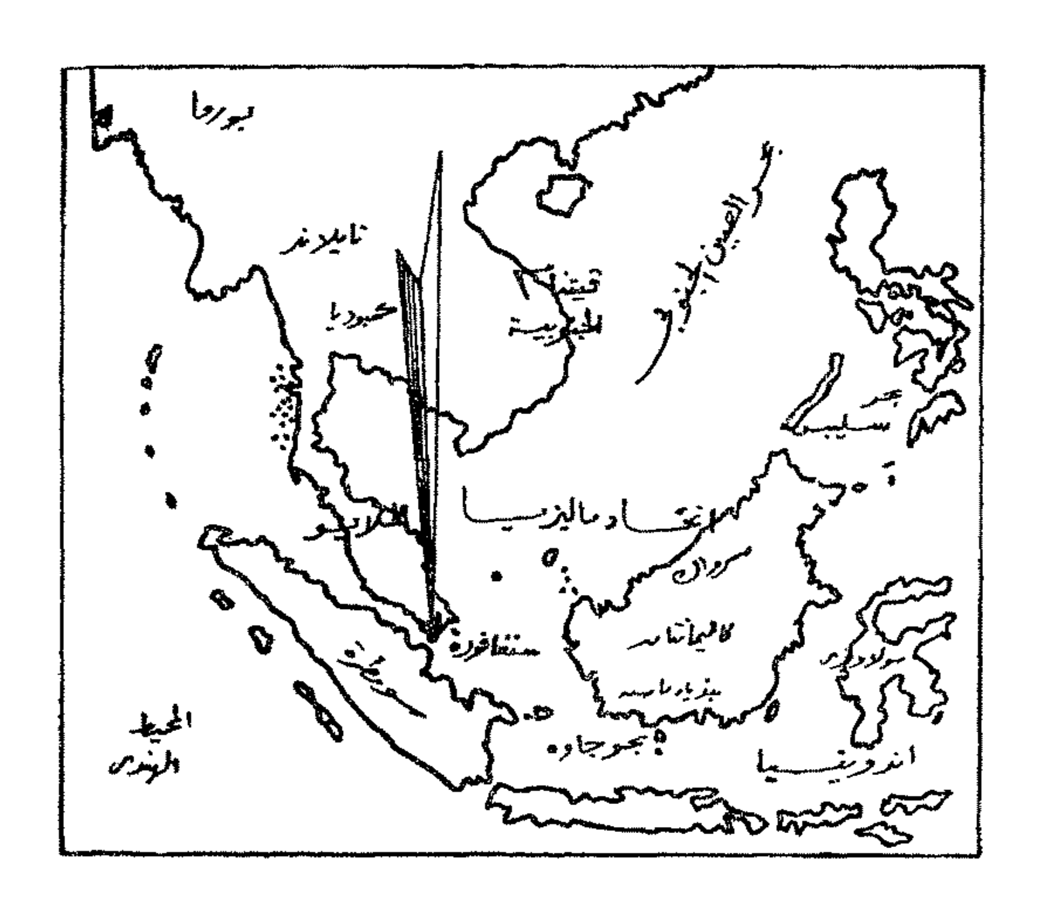
وهذه أيضا عادة فريدة توارثوها جيلا بعد جيل منذ انتشر الاسلام فى تلك الانحاء القاصية من الارض .

* * *

وهكذا رأيت الجزر الفيلبينية مبعوثا من وزارة الاوقاف لإحياء ليالى شهر رمضان المعظم بتلاوه القرآن الكريم ومدارسته .

وهكذا رأيت مسلمى تلك الجزر الذين يزدادون يوما بعد يوم، وندعو الله أن نرى كل بلادهم من أقصاها إلى أقصاها يدينون بالإسلام دين الله القويم .

سنغافورة



بورما
تايلند
كمبوديا
فيتنام الجنوبية
بحر الصين الجنوبي
بحر سليبس
اتحاد ماليزيا
سراوك
سنغافورة
كاليمانتان
بحر جاوه
اندونيسيا
المحيط الهندي

« وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ
أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا
الْإِيمَانُ وَلَٰكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ
مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ
صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ * صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ
مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ أَلَا إِلَى
اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ »(١)

ومن بين البلاد الكثيره التى زرتها خلال رحلاتى القرآنية ... سنغافوره تلك الجزيرة التى يحيط بها ما يقرب من تسعة وخمسون جزيرة صغيرة تدخل كلها ضمن حدودها الاقليمية .

ما كادت الطائرة تحلق بنا مقتربة من مطار سنغافورة العاصمة ، حتى دفعنى حب المعرفة أن أنظر من خلال النافذة ، وكم كانت دهشتى عندما شعرت ، وكأن الطائرة تقف بنا فوق نقطة بسيطة جداً لا تكاد تذكر على خريطة العالم تحيط بها الميـاه من كل جانب إلا من ناحيـة طرفها الجنوبى الذى يقال أنها ترتبط عن طريقه بشبه جزيرة الملايو بطريق برى ضيق من صنع الانسان .

وأخذت الطائرة تقترب بنا من أرض المطار ، وكلما اقتربنا أحسست باتساع رقعة الارض ، إلى أن استقبلنا المطار الفسيح ، وكم كانت فرحتى عندما

---

(١) سورة الشورى ... الآية ٥٢ و ٥٣

رأيت الوجوه يعلوها البشر والترحاب بالقادم من أرض الكنانة ــ فهم يعتبرون القاهره حصن الإسلام الحصين ، وأزهرها الشريف له مكانة مرموقة بين قلوب مسلمى سنغافورة ، وما جاورها من كل بلاد جنوب شرق آسيا .

استقبلنى الاهالى وأبناء الجاليات العربية بموكب حافل من المطار حتى وصلت دار الضيافة حيث خصص لى جناح ومرافق دائم لازمنى طيلة إقامتى هنالك .

لمحة من التاريخ :

سألت المرافق عن أهم ما تتميز به سنغافورة ؟ قال :

« تقع بلادنا فى منتصف الطريق بين الهند ، والصين ، مما يجعل لها أهمية تجارية واستراتيجية هامة ، ظهرت خاصة خلال الحرب العالمية الثانية ، عندما أخذت كل من القوات البريطانية ، واليابانية تتصارع من أجل الاحتفاظ بأراضينا تحت سيطرتها .

تقول كتب التاريخ : أنه منذ القرن الثانى عشر كان يوجد عندنا مركز تجارى مزدهر يعرف باسم « سنجابورا » ومعناه بلغتنا المسماة بالسنسكريتية « مدينة الاسد » .

كان هذا المركز على اتصال دائم بالتجار العرب خاصة المسلمين منهم الذين استوطنوا الهند ، والباكستان منذ أقدم عصور التاريخ ، وكان لهم فضل السبق فى نقل الدعوة الاسلامية إلينا ، وإلى ما جاورنا من بلاد الملايو .

غير أن أهالى جاوه دمروا هذا المركز عام ١٣٦٥ للميلاد وأصبح مهجورا مهملا لا أهمية له حتى بداية القرن التاسع عشر حيث أصبحت سنغافورة كلها مستعمرة من مستعمرات بريطانيا التى أخذت تحيي تلك المركز المهجور لتحافظ على مصالحها التجارية .

واستمر الحال هكذا حتى عام ١٩٥٩ للميلاد ، حيث تكونت أول وزارة في تاريخ بلادنا برئاسة السيد « لى كوان يو » الذى ناهض الاستعمار البريطانى مدة طويلة ، إلى أن استطاع الحصول على الاستقلال الذاتى للبلاد » .

حقائق ومشاهدات :

لعلها أصبحت عادة أحرص عليها أن أتساءل عن كيفية دخول الاسلام ، ومدى إنتشاره فى كل بلد أزوره .

أجاب تساؤلى هذا أحد العلماء قال :

« من المؤكد أنه لم يعرف تاريخ دقيق نستطيع أن نؤرخ به لدخـول الاسـلام بلادنا . . . غير أن الشيء الذى نستطيع أن نجزم بصحته هو أن دخول الاسلام بلادنا مرتبط كل الارتباط بقـدوم التجار العرب والدعاة إلى موانى بلاد جنوب شرق آسيا كلهـا ، فقـد كان هناك تجارة عظيمة واسعة الانتشار منذ عصور مبكرة بين أهالى بلادنا ، وبين هؤلاء التجار ، ممـا جعل هناك نوع من المخالطة ، والألفـة أدت إلى المصاهرة حينا ، وإلى المناقشة فى المعتقدات الدينية حيناً آخر ، حتى أن عدداً كبيراً من الاهالى اعتنقوا الدين الإسلامى ... ومنذ ذلك التاريخ اتسع نطاقه حتى غطى معظم الجزيرة ، وما جاورها من جزر أخرى ... واليوم يضم الحى العربى هنا عدد كبير من المسلمين ، وهم فى تزايد دائم ، يتمتعون بكافة الحقوق ، لهم مساجدهم ، وزواياهم ، وقبورهم الخاصة ، ولهم كافة الحرية فى إقامة الاحتفالات فى كل مناسبة إسلامية » .

* * *

وممـا هو جدير بالذكر أن جزيرة سنغافورة تعتبر من أجمل بلاد الدنيا ، فيها المناطق المرتفعة ، والوديان ، والارض المستوية ، ففى شمال غربى مدينـة سنغافورة العاصمة أعلى منطقة تسمى « بوكيت » ، وفى الغرب تنتشر الوديان الخصبة ـ ويقال أن الجزيرة كانت مغطاة تماما بالغابات الاستوائية قبـل

عام ١٨١٩ للميلاد ، وكان يقيم بها عدد قليـــل من أهل الملايو من صيادى السمك ــ غير أنك لا ترى الآن سوى المطاط وشجر جوز الهند والأناناس الذى يزرع فى هذه الوديان مكان تلك الغابات التى أزيلت عن آخرها .

ولو أنك تجولت داخل المدينة لشعرت بمدى الجمال الطبيعى الذى يعانق الجمال الهندسى البشرى فمساحة مدينة سنغافورة حوالى سبعة وثلاثون ميلا مربعا ، وبها يتركز حوالى ثلثى عدد سكان الجزيرة .

تنقسم المدينــة إلى منطقة أوربية فخمة ، وحى صينى كبير ، وأحياء للملايوويين والهنود ، وبالمدينة نواد ومساكن غاية فى الفن الهندسى المتطور ، كما أن بها محطة إذاعة الجزيرة كلها وفرع لجـامعة الملايو تستخدم فيه اللغــة الانجليزية ، كما أن هنالك أيضاً جامعة صينية تسمى جامعة نانيانج .

وسنغافورة ميناء حرة لا تنقطع فيها الحياة ليـــلا أو نهاراً فحركة السفن دائمة .

لفت نظرى شعارهم القومى المكون من أسد ونمر يحملان درعا مرسوما عليه هلال وخمسة نجوم سألت المرافق عن معنى هذا الشعار . قال :

« يرمز النمر والأسد إلى وحدة سنغافورة مع الملايو ، أما الهلال والنجوم فترمز إلى سنغافورة الناهضة ... وأما العـــلم فيتكون من اللونين الأحمر والأبيض ، كما يوجد الهـلال والنجوم الخمسة فى الزاوية اليسرى ... ويرمز اللون الأحمر إلى وحدة وأخوة جميع الأجناس الذين لون دمهم أحمر ... أما اللون الأبيض فيدل على نقاء وفضيلة الأمة إذ أن سكان وطننا سنغافورة بحكم موقعه الجغرافى ، والتاريخى خليط من أجناس متعددة : صينيون ، وهنود ، وباكستانيون ، وملاويون ، وعرب . أصبحوا فى حكم السكان الاصليين للبلاد إذ أنهم يعيشون بيننا منذ أقدم عصور التاريخ ، وحتى يومنا هذا » .

عادات وتقاليد :

من الأشياء التى تستحق الذكر حرص المسلمين هناك على صوم شهر رمضان المعظم، وتأدية فريضة الحج والزيارة، وإقامة المساجد والزوايا التى لا يدخرون وسعاً فى تأثيثها وإمدادها بما يلزمها لتكون مكاناً محترما لتأدية الشعائر الإسلامية وإقامة الاحتفالات كالحفل الكبير الذى يقام يوم ذكرى مولد الرسول الكريم — صلى الله عليه وسلم — ويوم انتصار المسلمين فى بدر، وليلتى النصف والسابع والعشرين من شهر رمضان الكريم.

ولعلك تسألنى أهم عاداتهم خلال أيام شهر رمضان أقول :

لو أنك زرت سنغافورة خلال الشهر الكريم لشعرت بمدى تمسك مسلميها بفريضة الصوم، فالاحياء العربية فى شبه عيد، زينات، وأضواء، وفوانيس يتسابق الاهالى فى تلوينها، ووضعها على أبواب منازلهم إبتهاجا بالشهر المعظم.

أما إفطارهم فهو عادة من حساء السمك والارز، وشراب جوز الهند، والاناناس الذى يشتهرون به ... وبعد الإفطار وصلاة المغرب تراهم يتوجهون إلى المساجد والزوايا لسماع القرآن الكريم ومدارسته خاصة من علماء بعثة الازهر الشريف التى توفد إليهم كل عام لتدريس اللغة العربية والعلوم الاسلامية ... والحكومة السنغافورية تحرص كل الحرص على عدم التعرض للحريات الدينية، فهى تحترم الشعائر الاسلامية، ويحرص رئيسها على حضور الحفل الكبير الذى يقيمه المسلمون فى مسجد سنغافورة الكبير ليلة السابع والعشرين من الشهر الكريم تيمناً بليلة القدر.

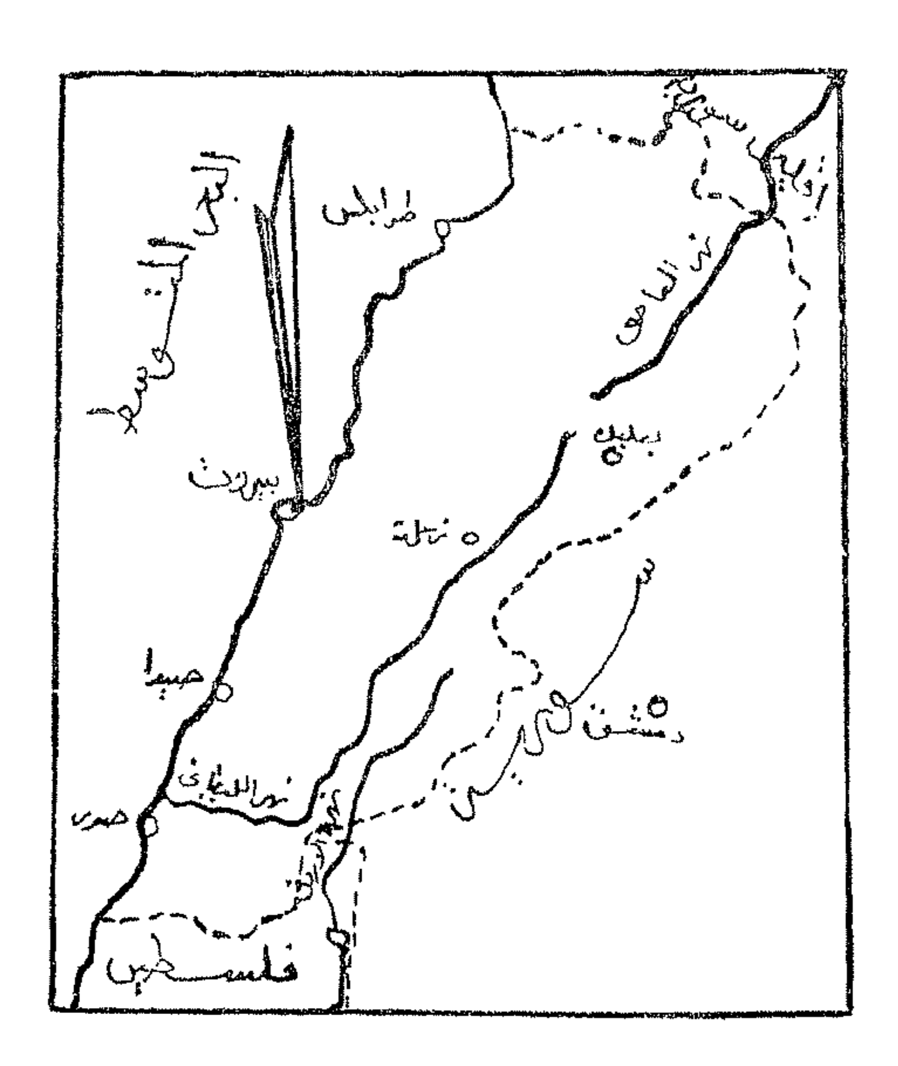
ومن الاماكن الهامة التى زرتها هناك جمعية مسلمى سنغافورة والمعهد الدينى الملحق بها، والذى يفد إليه الطلاب من كل أنحاء الجزيرة لحفظ القرآن الكريم

ومدارسة العلوم الشرعية الإسلامية ... كما أن لهذه الجمعية أيضاً مجـلة تصدر باسمها تحمل أخبار المسلمين فى كل أنحاء سنغافورة .

* * *

وهكذا رأيت سنغافورة وعشت عادات وتقاليـد مسلميها خلال إحدى رحلاتى القرآنية إلى بلاد جنوب شرق آسيا .

لبنان


البحر المتوسط
طرابلس
نهر العاصي
بعلبك
بيروت
زحلة
سوريا
صيدا
دمشق
نهر الليطاني
صور
فلسطين

« يَا أَهْلَ ٱلْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فَتْرَةٍ مِنَ ٱلرُّسُلِ أَن تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِن بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ »[1] .

ومن سنغافورة تلك الجزيرة التى تعد من أجمل البلاد التى شاهدتها خلال رحلاتى إلى أقصى بلاد القاره الآسيوية ... إلى بلد قريب يدخل ضمن نطاق وطننا العربى الكبير ... تلك هو لبنان الشقيق .

نزلت بنا الطائره فى مطار بيروت العاصمة ، تلك المدينة التى تعد من أجمل بلاد حوض البحر الأبيض المتوسط ...

يحد لبنان من الشمال والشرق سوريا ، ومن الجنوب فلسطين ، ومن الغرب البحر الأبيض وهو مقسم إلى عدة مناطق :

بيروت الشمالى . . . . . . وجبل لبنان

لبنان الجنوبى . . . . . . والبقاع

لمحة من التاريخ :

حدثنى المرافق قال : « يرجع تاريخ انتشار الإسلام فى لبنان إلى العصور الاسلامية الأولى يوم اختلط سكان البلاد الاصليين بالموجات والهجرات المختلفة

(١) سورة المائدة ... الآية ١٩

التى أتت من شبه الجزيرة العربية ، ومن المناطق الشمالية المتاخمة للحدود اللبنانية ... منذ ذلك التاريخ ظل الطابع العربى الاسلامى سائداً فى بلادنا ، كما هو سائد فيما جاورنا من بلاد الشام الاخرى » .

ولعل من الاشياء التى لفتت نظرى هناك أنهم يؤكدون باعتزاز صلاتهم الوثيقة بمصر منذ عهد الفراعنة ، وحتى يومنا هذا خاصة بعد ما وحدت العروبة بين الشقيقتين ، وبدأ الفكر العربى يبسط جناحيه على أهل لبنان الذين حافظوا على إحياء اللغة العربية لغة القرآن الكريم ، والثقافة الاسلامية .

كما أنهم يرددون أيضاً أن لبنان انضم إلى الحكم المصرى عام ١٨٢١ للميلاد ، وأن الشيخ محمد عبده قضى فتره من حياته فى بيروت بعد أن نفى من مصر فى أعقاب الثورة العرابية ، كان يكتب المقالات فى صحف لبنان .

وقد أتاحت له هذه الفرصة أن يبين للبنانيين آنذاك سماحة الاسلام ومبادئه النبيلة ، وأهدافه الشريفة ، ورسالته المثلى مما وسع إنتشار رقعة الإسلام ، وازدياد الداخلين فى زمرته من اللبنانيين .

يقول الأمير شكيب أرسلان : « كانت فائدة مقام الشيخ ببيروت عظيمة الفائدة فانه ما لبث إلا وقد أصبح منزله بصورة دائمة تقريباً خاصاً بالزائرين ، الذين كانوا يقصدون إلى حضرته لمجرد الاستفادة من محاضراته ، والالتقاط من درره ، وصار للناس ولع به فكنت تراهم يحفظون من كلامه ، ويقلدونه فى لفظه ، ويتابعونه فى رأيه ، وإن كثيراً من الأفكار والمبادىء والألفاظ والجمل السائدة الآن فى بر الشام ، هى من بقايا آثار مجالس الشيخ محمد عبده ، ولاشك فى ذلك » .

* * *

حقائق ومشاهدات :

وعشت أياماً طيبة بين مسلمى لبنان الذين يمثلون نصف السكان يغلب عليهم المذهب السنى ، ويسكنون عادة المدن الكبرى ... كبيروت وطرابلس . وأيضاً هنالك بعض الشيعة ويسكنون البقاع ولبنان الجنوبى ، والدروز والعدويون الذين يسكنون الأماكن الجبلية ... كأقضية وبعلبك وعاليـــة والشوف .

وفى لبنان مدارس دينية يتعلم فيها الطلبة المسلمون . أشهرها مدرسة المقاصد الخيرية فى بيروت وتديرها جمعية رجال الدين المسلمين (ومما هو جدير بالذكر أن نشاط هـذه الجمعية لا يقتصر على إدارة المدارس ، ولكنها أيضـا تتولى المشروعات الخيرية الأخرى فى كل أنحاء لبنان) .

أما كلية المقاصد الإســلامية الخيرية فتقع فى الجزء الجنوبى من بيروت المجـاور لغابة الصنوبر العظيمة يقال أنها أنشئت فى الربع الأخير من القرن التاسع عشر تحت إشراف الحكومة العثمانية ، ثم ما لبثت أن تقدمت إلى الأمام بفضل جهد المسلمين فى لبنان ، وبفضل الأموال التى تبرع بها الأغنياء منهم .

وأول ما تهتم به الكلية اللغة العربية وآدابها . كما أن هنالك فى صيدا فرعاً لكلية المقاصد الإسلامية ، لا تختلف مناهج الدراسة فيه عن مناهج الدراســة فى كلية المقاصد ببيروت .

(ومن الأشياء التى سمعتها أن جمهوريتنا العربية المتحدة توفد كل عام عدداً كبيراً من المدرسين الجامعيين والأزهريين للتدريس فى هذه الكلية والمعاهد الإسلامية الملحقة بالمساجد الكبرى) .

وفى مدينة طرابلس أيضاً كلية تسمى ـ كلية التربية والتعليم ـ تعنى فيما تعنى بالدراسات الإسلامية كإحدى مناهج الدراسة فيها .

ولو زرت لبنان لرأيت آثارها التاريخية الشهيرة التى لاتزال باقية منذ عصور التاريخ الأولى فهناك مثلا مضيق نهر الكلب الذى نقشت على أحد جوانبه لوحات أثرية تعبر عن عهود مختلفة من مصرية ، وآشورية ، وبابلية ، ويونانية ، ورومانية ، وعربية .

ثم جبيل بيبلوس الذى يحج إليه الناس ، به جامع وآثار عربية قديمة ، ويطلق عليه أقدم مدينة فى العالم .

ومن بين الأماكن التى شاهدتها منطقة فقا ، يقوم بقربها مصب الزهر يحيط به الجبال الشامخة ، وبالمنطقة مغارة إبراهيم الشهيرة بهذا الاسم ، ثم دير القمر ، وبيت الدين حيث قصور الأمراء اللبنانيين القدامى ، ومتحف الأزياء والعادات اللبنانية التى يرجع تاريخها لعهد الأمراء والمتصرفية فى القرن التاسع عشر الميلاد .

وإذا ما اتجه الزائر نحو الجنوب فإنه يتجه نحو صور وصيدا ، بهما قلعتى البحر والثقيف ، وخان الفرنج الذى بناه الأمير فخر الدين ، وجوامع أثرية ، وحمامات وأبراج عربية .

ومن أجمل المدن اللبنانية التى شاهدتها بعلبك مدينة الشمس الخالدة — كما يسمونها — بها الهياكل الرومانية الجبارة تزهو بأعمدتها الشامخة ونقوشها المزخرفة النادرة ، وإلى أقصى ضواحيها تجد بقايا الجامع الكبير الذى يقال أنه شيد منذ عهد الأمويين .

أما لبنان الشمال فهو من أجمل المناطق به مغارة قاديشا الشهيرة ، والتمائيل المتحجرة الخلابة التى تحمل ذكريات التاريخ اللبنانى العريق .

ومن المدن الكبيرة أيضاً مدينة طرابلس ثانى المدن بعد بيروت العاصمة بفضل موقعها الجغرافى الممتاز ، وآثار العصور الغابرة القائمة فيها (كقلعة

سان جيل الصليبية ، والحمامات العربية ، وأبراج المماليك ، والجوامع ، والكنائس الأثرية الجميلة ، وتكية الدراويش فى سفح الهضبة ، وبرج السباع على الشاطىء بين الميناء ومصب نهر قاديسا) .

* * *

عادات وتقاليد :

أما عادات وتقاليد مسلمى لبنان فهى لا تخرج فى جملتها عن كونها العادات والتقاليد العربية الأصيلة ، يبدءون الإفطار بتناول ثلاث حبات من التمر ، وكوب من اللبن سنة عن النبي ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ ثم احتفالات وزينات تقام فى كل بيت ، وموائد للفقراء خاصة والأصدقاء عامة .

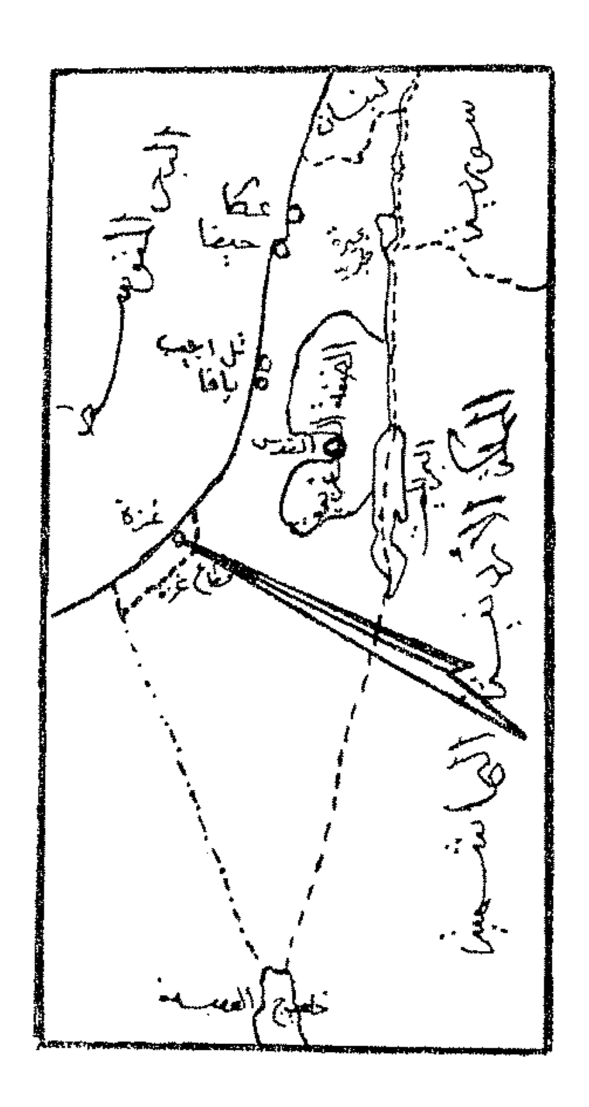
يخرجون بعد تناول الإفطار لصلاة العشاء والتراويح بالمساجد والزوايا ، وسماع القرآن الكريم ومدارسته وإقامة الاذكار حتى ساعة متأخرة من الليل .

ومما هو جدير بالذكر حرص الحكومة اللبنانية على إقامة سرادق كبير فى أوسع ميادين بيروت العاصمة يتناوب فيه مشاهير القراء التلاوة ، خاصة الوافدين من الجمهورية العربية المتحدة ، كما يحضر رئيس الدولة والوزراء الاحتفالين الكبيرين اللذين يقاما ليلتى النصف والسابع والعشرين من الشهر الكريم .

ولو أنك زرت لبنان خلال شهر رمضان المعظم لشعرت بمدى عظمة الاسلام فى تلك البقعة العربية ، ومدى تمسكهم بعروبتهم وحضارتهم الاسلامية الخالدة .

وهكذا رأيت لبنان الوطن العربى الشقيق ، وعشت أياماً لا تنسى خلال رحلتى القرآنية بين مسلميه .

فلسطين



« إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلْدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ * وَأَنْ أَتْلُوَا الْقُرْآنَ فَمَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنذِرِينَ * وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ »(1)

و نشد الرحال إلى قطاع غزة من البلد العربى الاسلامى العزيز علينا جميعاً... فلسطين . تلك البقعة من الارض الإسلامية التى اصطفاها الله تبارك وتعالى ، وشرفها بأنبيائه ورسله ـ الذين بعثوا للناس كافة يهدونهم سواء السبيل ، ويمهدون أمامهم طريق الحيـاة الكريمة الشريفة ، ويرتقون بهم إلى مستوى الإنسانية ـ وجعلها بداية للنور ، ومنطلقاً للهداية ، وطريقاً للخير ، ومجّدها أيضاً بمسرى رسوله الكريم محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ آخر أنبيائه ، ورسله إليها ... يقول سبحانه وتعالى :

« سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ »(2)

---

(١) سورة النمل .. الآية ٩١ و ٩٢ و ٩٣

(٢) سورة الإسراء ... الآية ١

لمحة من التاريخ :

ما أن نزلت بنا الطائرة حتى استقبلني أبناء القطاع كأحسن ما يكون الاستقبال ، شعرت من خلاله حرارة اللقاء بين أبناء الإسلام والعروبة ، كما شعرت أيضاً مدى الصلات الوثيقة التي تربط أبناء الوطن العربي السليب بأبناء الجمهورية العربية المتحدة ـ فهم يعتبرونها ملاذهم الوحيد ، وعونهم على الصهاينة المغتصبين ـ

وكعادتي في كل بلد أزوره سألت أحد العلماء عن تاريخ دخول الإسلام تلك البلاد ... أجاب بقوله :

« يرجع تاريخ دخول الإسلام الأراضي الفلسطينية إلى أيام سيدنا أبي بكر رضي الله تعالى عنه ، يوم أرسل إليها القائد العربي المسلم عمرو بن العاص ، الذي كان له الفضل في اتساع رقعة الإسلام بانتشار القبائل النازحة من أرض الجزيرة العربية إلى تلك البقاع ، وما جاورها من بلاد ، واستيطانها إلى جانب القبائل العربية العريقة التي كانت تسكن تلك الأراضي منذ عصور ساحقة .

منذ ذلك اليوم أخذ الإسلام ينشر ألويته إلى أن عمّ كل الاراضي الفلسطينية ، بل وزحف إلى ما جاورها من بلاد الشام الاخر » .

* * *

حقائق ومشاهـــدات :

وهناك رأيت معهد فلسطين الديني وهو أحـــد المعاهد التابعة للأزهر الشريف يشتمل على مراحل الدراسة المختلفة : الابتدائية والإعدادية والثانوية .

كما أن هناك مدارس إسلامية أخرى تابعة لجمعية تحفيظ القرآن الكريم بغزة ، عددها حوالى ثلاثون مدرسة .

أما من الناحية الشرعية ، فكما حكى لي أحد القضاة قال :

« إن هناك فى القطاع محاكم شرعية : إبتدائية واستئنافية ، يرأس إدارتها رئيس محكمة الاستئناف العليا (ومما هو جدير بالذكر أن هذه المحاكم إلى جانب تطبيقها للأحكام الشرعية للقضاء ، فإنها تشرف إشرافا مباشراً على إقامة الشعائر الدينية فى هذا الجزء من أرض الوطن العربى الإسلامى ، كما أن المحكمة العليا هى التى تضع برامج الأحتفالات الدينية خلال شهر رمضان المعظم من كل عام ،



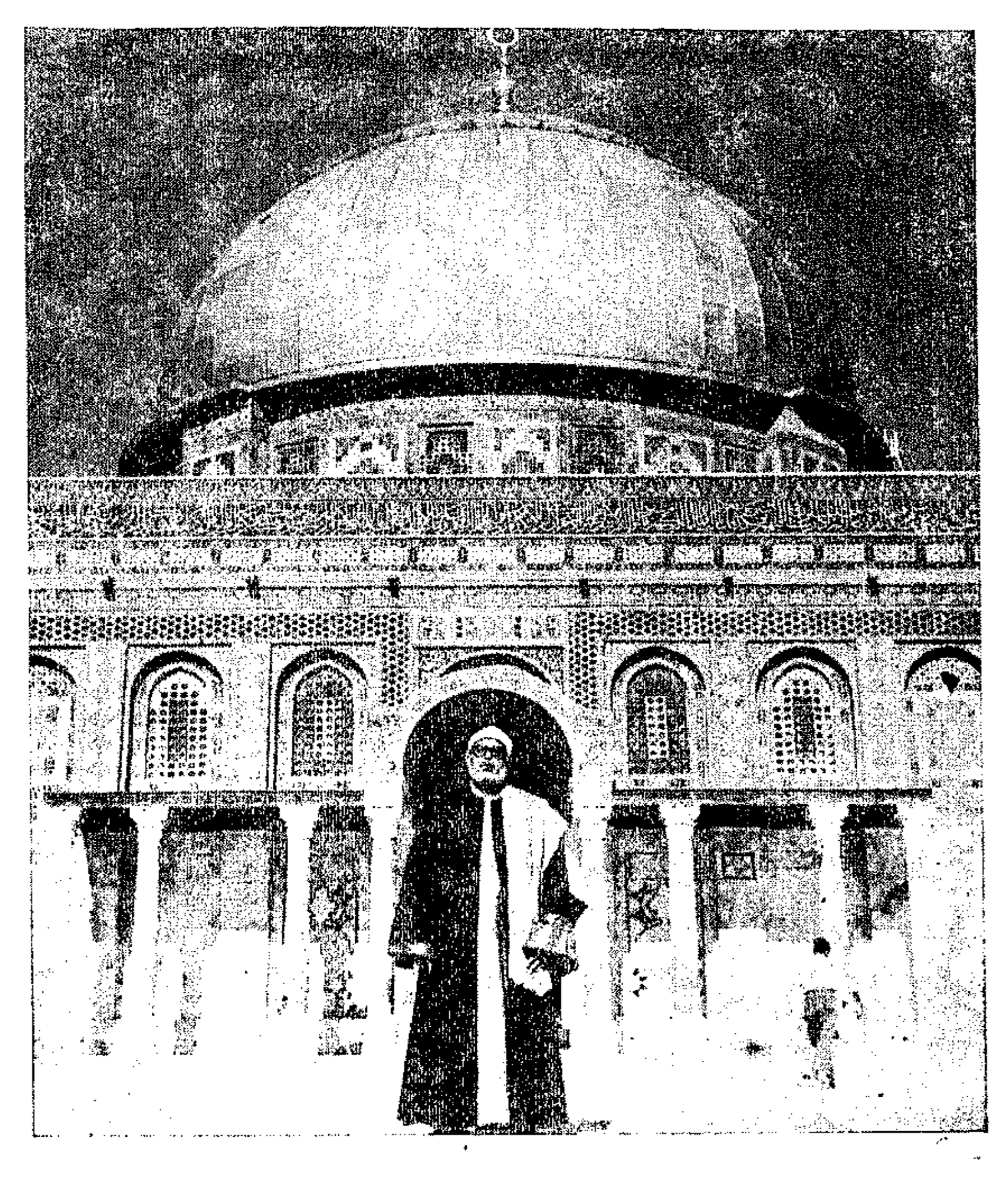
وضع الحجر الأساسى لبناء مسجد الأزهر بفلسطين

بل وتضع البرامج الشهرية للوعظ والإرشاد التى تعم على جميع الخطباء والوعاظ فى القطاع ، كل هذا بتوجيهات سيادة الحاكم الإدارى العام للقطاع كله) .

والحديث عن معالم قطاع غزة ، إنما هو حديث عن جزء من فلسطين ـ أرض الأنبياء ـ يحمل بين طياته كثير من الذكريات الإسلامية ، والمعالم القدسية الخالدة .

فى القدس إحدى المدن الفلسطينية ـ التى اغتصب الصهاينة جزء منها ، وترك

الجزء الآخر لعرب الأردن ـ يوجد بها ست وثلاثون مسجداً ، عدى المسجد الأقصى ، ومسجد الصخرة الذى ترجع صلته بقصة الاسراء والمعراج ، والذى بنى فى عهد الخليفة الأموى عبد الملك بن مروان عام ٧٢ للهجرة ، ورصد لبنائه



مسجد الصخرة

خراج عام ١٠٩٩ للميـــلاد ، وبنوا عليه مذبحاً ، لكن القائد العربى المسـلم صلاح الدين الأيوبى عاد فأزال المعـالم الصليبية ، وأرجع المسجد إلى سماته العربيـة الأصيلة ، واهتم بعمارته من بعـده ملوك بنى أيوب والمماليـك والعثمانيون[1] .

* * *

عادات وتقـاليد :

ولعلك تسألنى عن عادات وتقاليد الأهالى خلال أيام شهر رمضان المعظم ؟.

أقول : قطاع غزة فى شبه مهرجان إسلامى طيلة أيام الشهر الكريم تضاء المساجد والزوايا ، وتقام الزينات على المنازل والشوارع .

ولعل من الأشياء الملفتة للنظر الحرص الشديد لسيادة الحاكم الإدارى العام للقطاع على إقامة سرادق كبير يبعث إليـه مشاهير القراء من الجمهورية العربية المتحدة لإحياء ليالى الشهر المعظم بتلاوة القرآن الكريم ، ومدارسته بعد صلاة المغرب من كل ليلة ، وحتى ساعة متأخرة من الليـل ـ يفد إلى هذا السرادق أعداد هائلة من الأهالى من كل أطراف القطاع مشاركة منهم فى الفرحة بالشهر الكريم .

كما تقام سرادقات أخرى كثيرة فى كل بلد من بلدان القطاع كدير البلح ، ودير ياسين ، ورفح ، وغيرهم .

ومن الأشياء التى تتناقلها الأفواه حرص الأهالى على تقاسم الأطعمة والملابس فيما بينهم حرصاً منهم على أن يحس كل صائم بأنه فرد فى أسرة إسلامية كبيرة يضمها القطاع .

---

(١) سبق الحديث عن هذا المسجد بالذات عندما كنا نتحدث عن الأردن ذلك أن هذه المنطقة من فلسطين تقع الآن ضمن المنطقة الملحقة بالأردن .

ومن عاداتهم الإسلامية المتوارثة بدء الإفطار بتناول ثلاث حبات من التمر وكوب من اللبن سنة عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ثم يصلون المغرب وبعدها يعودون لتناول الافطار ، ثم يخرجون لصلاة العشاء والتراويح ، وإقامة الأذكار حتى ساعة متأخرة من الليل .

تلك بعض أخبار رحلتي القرآنية إلى إحدى قطاعات فلسطين ــ أرض



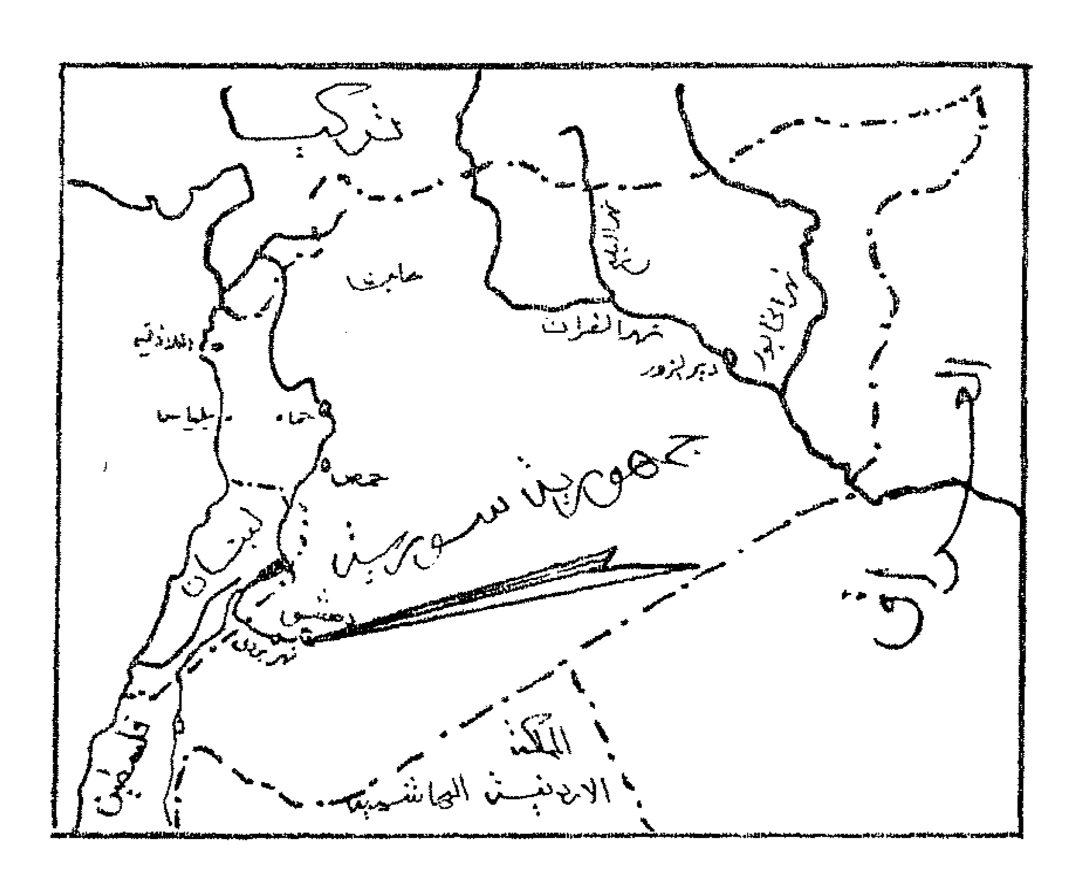
مسجد النبي داود بالقدس المحتلة مع المقام

الرسالات ــ التي يجب أن يفتديها كل عربي بحياته ، وروحه ، وماله ، وماملكت يداه ، حتى تبقى مجيدة شريفة كريمة لايدنسها الصهاينة بأباطيلهم وادعاءاتهم ، وحتى تعود لأصحابها الشرعيين العرب المسلمين .

* * *

وهكذا أقف بكم عند أهم مارأيت ، وماسمعت أثناء إقامتي بين إخوة لنا في الإسلام عائدون ... عائدون إلى وطنهم السليب إن شاء الله .

سوريا



تركيا
حلب
اللاذقية
حماه
طرابلس
حمص
لبنان
جمهورية سورية
دمشق
نهر بردى
نهر الفرات
دير الزور
نهر الخابور
العراق
المملكة
الاردنية الهاشمية
فلسطين

« لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ
وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ
النَّاسُ بِالْقِسْطِ »(١)

ومن قطاع غزة أنتقل بكم إلى قطر عربى إسلامى آخر زرته فأحسست من خلال الزيارة إنى بين أهلى وعشيرتى ـ لا فواصل ولا حدود ، إنما أخ عربى مسلم بين إخوة له فى العروبة والإسلام ـ تلك هو سوريا الحبيبة .

لمحة من التاريخ :

عندما كنت أزور الوطن العربى الشقيق لبنان عرجت إلى سوريا فى زيارة سريعة استغرقت وقتاً بسيطاً لكنى أحسست من خلال الساعات التى قضيتها هناك أن كل القادمين من أرض الكنانة يعتبرهم السوريون أهل وحل .

أقلتنى السيارة إلى قلب العاصمة التى يحار الواصف فى فخامتها وأبهتها وروعتها .

فيها الآثار الإسلامية الخالدة التى تحكى عظمة الرعيل الأول من المسلمين .

يقول شاعرنا العربى الكبير أحمد شوقى :

آمنت بالله واستثنيت جنته
دمشق روح وجنات وريحان

(١) سورة الحديد ... الآية ٢٥

قال الرفاق وقـــد هبت خمائلها
الأرض دار لهـا الفيحـاء بستان

جـــرى وصفق يلقـانا بهـا بردى
كما تلقاك دون الخـــلد رضـوان

* * *

لم أكن فى حاجة كى أسأل عن تاريخ دخول الإسلام تلك البقعة العربيـة الإسلامية ، ولكنى أردت أن أؤكد ما قرأت ، وما سمعت ، قيل لى :

إن ســـوريا تطل على البحر الابيض المتوسط يحدها : العراق ، وتركيا ، ولبنان ، والأردن ، وجزء من فلسطين العربية ، تتابعت عليها أجناس بشرية مختلفة منها موجة عربية يؤكد هـــذا عثور المؤرخون على حجر تاريخى عليه كتابة عربية تعود إلى أزمان غابرة .

غير أن الفتح الإسلامى لسوريا يرجع إلى عهد سيدنا أبى بكر ـ رضى الله تعالى عنه ـ يوم كانت بلاد الشام كلهـا تابعة للحكم البيزنطى ، الأمر الذى جعل خليفة المسمين الاول يجهز أربعة ألوية على كل لواء قائد عربى له باع فى القتال .

توجه كل لواء إلى جهة من مناطق الشام (حمص ، ودمشق ، وفلسطين ، والأردن) .

ودارت رحى الحرب بين المسـلمين ، وأهل الشرك من البيزنطيين فى عدة معارك حتى كانت المعركة الفاصلة . . . . معركة اليرموك الكبرى التى انتصر

الإسلام والمسلمون فيها على جيوش الشرك والضلال ، ودانت بلاد الشام كلها للمسلمين ، وأخذت القبائل العربية منذ ذلك التاريخ ترتحل فى شكل هجرات إلى الأرض المفتوحة بغية التجارة .

وما هى إلا سنوات قلائل حتى أضاء الإسلام بنوره كل جنبات البلاد ، وأصبح يدين الغالبية العظمى من أبناء سوريا ، وغيرها من بلاد الشام الأخرى .

منذ ذلك الحين قامت دمشق على رأس مناطق الشام كلها بدور كبير فى بناء كيان الأمة الإسلامية ، واتساع رقعتها ، حتى كانت الدولة الأموية عام ٤١ للهجرة ، فاتخذ معاوية دمشق حاضرة ، وأنشأ فيها مسجداً صغيراً كان نواة للمسجد الأموى الكبير الذى اهتم به ، وأتم بناءه من بعده الوليد ابن عبد الملك ، لولعه الشديد بالفن المعمارى الإسلامى .

ويقال أنه بنى ـ أى المسجد الأموى ـ مكان كاتدرائية القديس يوحنا المعمدانى ، وبالمسجد ثلاث مقصورات أشهرها المقصورة الصحابية . يقول ابن أبى الفداء : « إنها أول مقصورة صنعت فى الاسلام ، ويقال أن معاوية ابن أبى سفيان هو الذى بناها » .

كما بنى الوليد أيضاً إلى الجانب الشمالى من المسجد مئذنة استخدمت أيضاً بمثابة منارة ، وأصبحت نموذجاً للماذن لا فى سوريا وحدها بل فى كل البلاد الإسلامية الاخرى ، فقد نقل طرازها عبد الرحمن الأول إلى بلاد الاندلس ، (إذ تعتبر أقدم مئذنة إسلامية) .

* * *

حقائق ومشاهدات :

فى سوريا تستطيع العثور على الطابع العربى الاسلامى الخالص ، فمدينة حماه ،

وما حولها من المناطق السورية لا تزال يطالعك أهلها بأقدم اللهجات العربية التي توارثها الآباء عن الأجداد .

ولعل من الاشياء التي لفتت نظري هناك كثرة المدارس الدينية الاسلامية التي أخذت على عاتقها إعداد مدرسي الدين الاسلامي ، وتخريج القضاة للمحاكم الشرعية وكتبتها .

(ومما هو جدير بالذكر أن إدارة الأوقاف السورية تشرف إشرافاً كاملا على تلك المدارس ، والمعاهد الدينية ، وتقدم لها كافة الاحتياجات) .

وهناك أيضاً مدرستين على أعلى مستوى ، واحدة في دمشق ، والاخرى في حلب ، ومدرسة دمشق تسمى كلية الشريعة أنشأتها جمعية العلماء السوريين عام ١٩٤٢ للميلاد .

أما مدرسة حلب فتسمى بالكلية الاسلامية تتولى أمرها الجمعية الاسلامية السورية ، وتتبع مناهج الدراسة في المدارس الحكومية ، مع زيادة برامج خاصة لحفظ القرآن الكريم ومدارسته ، وعلوم الشريعة ومقاصدها .

قال لي أحد العلماء أن في سوريا قرابة ثمانون مدرسة إسلامية منتشرة في كل القرى والمدن السورية ، عدا الكتاتيب الملحقة بالمساجد ، والزوايا .

* * *

عادات وتقاليد :

لعلك معي ليلة من ليالي شهر رمضان المعظم لترى كيف يحتفل به السوريون ، فلهم عادات وتقاليد ، فما أن يثبت هلال رمضان حتى تضاء المآذن ، ويخرج الناس في شبه مهرجان شعبي ، يرقصون ، وينشدون الأهازيج السورية الجميلة ثم يدخلون المساجد للاستمتاع بسماع القرآن الكريم ، والمواعظ ، والتواشيح التي تستمر عادة حتى صلاة الفجر .

ولو كنت فى دمشق ساعة الإفطار لما رأيت واحداً يفطر بمفرده ، بل ترى الموائد منتشرة للصحب وللفقراء .

وقد ترى الناس يفطرون إفطاراً جماعياً داخل المساجد فى أماكن خصصت لذلك ، ثم يصلون المغرب ، ويرجعون لتناول الحلوى ، وشرب القهوة العربية إلى أن يحين وقت صلاة العشاء فيصلونها ، ثم يتبعونها بصلاة التراويح ، وتبدأ تلاوة القرآن الكريم ، ومدارسته بعـــد ذلك فى حلقات حتى ساعة متأخرة من الليل .

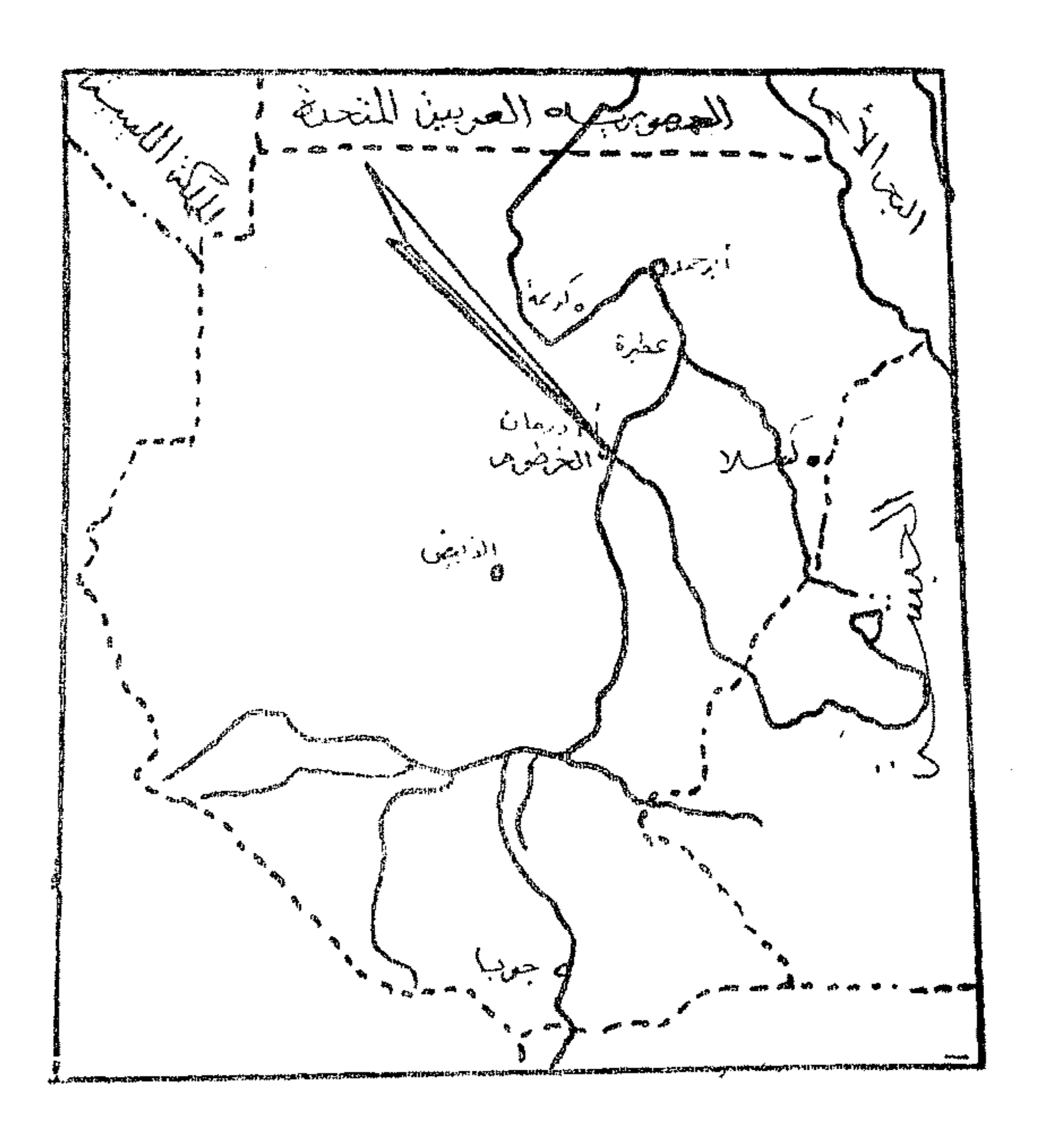
وتحرص الحكومة السوريه كل الحرص على إحياء ليـالى شهر رمضان المعظم بإقامة السرادقات الكبيرة فى كل الميادين الرئيسية بالمدن السورية يفد إليها أعداد هائلة من الأهالى لسماع القرآن الكريم من مشاهير مقرئى الجمهورية العربية المتحدة الذين يفدون إلى سوريا كل عام لإحياء ليالى شهر رمضان المعظم، كما يحرص رئيس الدولة السورية ، والوزراء على حضور الاحتفالات التى تقام ليلة القدر ، وليلة النصف من الشهر الكريم .

* * *

وهكذا رأيت قطعة غالية علينا من قلب الوطن العربى الإسلامى الكبير .

وهكذا رأيت سوريا الحبيبة ، وعشت بعضاً من الوقت فى رحاب الاسلام والمسلمين هناك أستشعر التاريخ الاســلامى الخالد وعظمة ديننا القويم ، دين الرحمة ، والعدل ، والمساواة .

السودان



الجمهورية العربية المتحدة
المملكة الليبية
البحر الأحمر
أبو حمد
كريمة
عطبرة
أم درمان
الخرطوم
كسلا
الحبشة
الأبيض
جوبا

« وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَوٰةَ وَذَٰلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ »[1].

ومن الوطن العربى الشيق سوريا إلى وطن إسلامى شقيق آخر تربطنا به أواصر المحبة والأخوة ... تلك هو السودان .

لمحة من التاريخ :

فى طريق عودتى من إحدى البلدان الافريقية توقفت لفترة وجيزة بالأراضى السودانية .

نزلت بنا الطائرة أرض مطار الخرطوم الفسيح .

رافقنى أحد العلماء طيلة فترة وجودى ، أخذ يشرح لى كل ما يدور بخلدى من أسئلة ، واستفسارات .

وكعادتى فى كل بلد أزوره سألت أحد العلماء عن تاريخ دخول الإسلام الأراضى السودانية ؟ أجاب بقوله :

« تقول كتب التاريخ والسير أنه كانت هناك جذور عميقة للعروبة والإسلام فى السودان ترجع إلى أقدم الأزمنة ، إذ يقال أنه كانت هناك بين الجزيرة العربية

(١) سورة البينة ... الآية ٥

والأراضي السودانية صلات تجارية إلى جانب الهجرات السكانية التى تدفقت عن طريق شرق السودان ، وشمال وادى النيل ، وأيضاً عن طريق ليبيا .

ولعل من الأشياء الهامة التى حملتها هـــذه القبائل المهاجرة إلى الأراضى السودانية اللغة العربية .

وما أن ظهرت الدعوة المحمدية حتى حملتها القبائل العربية المسلمة خاصة بنى هلال وبنى سليم وربيعة ولخم وغيرهم إلى كل المناطق السودانية التى استوطنتها .

كما ساعدت التجارة أيضاً بين شطرى وادى النيل ـ مصر والسودان ـ فى نشر الإسلام ـ دين الله القويم ـ واتساع رقعته اتساعا شمـــل أغلب المدن السودانية .

كان ذلك قديماً ... وما أن نقترب من عصرنا الحديث حتى نرى أن تيارات الهجرة لم تتوقف ، بل ظل المسلمون يهاجرون من شتى البلاد والأمصار ، بقصد التجارة تارة ، والدعوة إلى العقيدة الإسلامية تارة أخرى .

ومما هو جدير بالذكر أنه تأسست نتيجة الهجرات المستمرة ، والاستيطان ممالك سودانية مختلفة أهمها : مملكتى الفونج وسنار ، وسلطنة دار فور .

(يقال أن شعب الفونج لم يدخر وسعاً فى نشر الدين وتوطيـد الصلات بالأسر العربيـــة ، كما أن مملكة ـ سنار ـ كانت من أكثر الممالك السودانية استجابة لنشر الإسلام .

ومنذ ذلك التاريخ أخذ الإسلام ينشر ألويته حتى عم كل المناطق السودانية الواسعة ، وأصبح الآن الدين الرسمى للدولة ، والعربية لغتها ».

* * *

وكنت سمعت عن سعة انتشار الطرق الصوفية فى المدن السودانية الأمر

الذى جعلنى أستفسر عن مدى صحة هذه المعلومات ، خاصة عندما صحبنى أحد العلماء فى زيارة لضريح أحد الأولياء الصوفيين .

أكد لى الشيخ أن انتشار الطرق الصوفية فى السودان يعتبر امتداداً لانتشارها فى أغلب البلاد العربية الاسلامية .

فهناك مثلا الطريقة القادرية التى ظهرت على يد الشيخ عبد القادر الجيلانى فى القرن الثانى عشر ، ودخلت السودان فى النصف الأول من القرن السادس عشر ، ثم الطريقة الشاذلية التى تنسب إلى سيدى أبى الحسن الشاذلى الذى جاء السودان من تونس ، وساعده الشيخ خوجلى عبد الرحمن المحسى على رسوخ دعائم طريقته .

وهناك فى السودان أيضاً الطريقة التيجانية التى تنسب إلى مؤسسها سيدى أحمد بن محمد التيجانى عام ١٧٨٢ للميلاد بمدينه فاس ، كما أن هناك عدة طرق صوفية منتشرة فى كل المدن السودانية .

غير أن أغلب أهل السودان ـ منذ دخول الإسلام بلادهم ـ على المذهب السنى ، ويأخذون بمذهب الإمام الأشعرى فى العقائد التوحيدية ، وبمذهب الإمام مالك فى كل الأمور الفقهية .

حقائق ومشاهدات :

لعل من أهم ما لاحظته هناك أن بعض أهل السودان يقرأون القرآن الكريم بقراءة (ورش) خاصة فى مدينتى : دنقلة ، ودارفور . وبقراءة (أبى عمرو) فى سائر مناطق السودان الأخرى .

(يقولون أن قراءة ورش كانت منتشرة فى مدينة دنقلة على وجه الخصوص أيام مملكة الفونج ، ثم ضعفت بمرور الزمن .

أما فى دارفور فلازالوا يقرأون بها ـ أى ورش ـ حتى يومنا هذا) .

وهناك رأيت انتشاراً واسعاً للخلاوى والكتاتيب الملحقة عادة بالمساجد تقوم بتحفيظ القرآن الكريم ، ومدارسة علومه .

(ومما هو جدير بالذكر أنهم يقولون أن للشيخ التلمسانى المغربى فضل السبق فى ريادته لعلم التجويد والقراءات فى السودان منذ أمد بعيد) .

ومن أهم المساجد الكبيرة ذات الطابع الإسلامى العريق المسجد العتيق الذى أنشىء عام ١٨٤٧ للميلاد ، ودرس فى خلوته الشيخ إبراهيم عبد الدافع الذى أصبح مفتياً للديار السودانية آنذاك ، والشيخ الأمين الضرير وغيرهما من كبار علماء السودان .

كما أن هناك فى الخرطوم والمدن الكبيرة كأم درمان ، وواد مدنى ، وبورسودان عدة مساجد بعضها يميزه الطابع الإسلامى القديم ، والآخر بنى على الطراز الحديث .

ومن الجمعيات الإسلامية هناك جمعية أنصار السنة التى يرجع تاريخ إنشائها إلى عام ١٩٣٩ من الميلاد . ومن المعاهد الإسلامية الشهيرة التى سمعت عنها المعهد العلمى فى مدينة أم درمان يقوم بدور كبير فى نشر الثقافة العربية الإسلامية الصحيحة ، وبه ـ أى المعهد ـ مكتبة كبيرة مزودة بشتى الكتب والمراجع الدينية القديمة والحديثة .

* * *

عادات وتقاليد :

لو أنك كنت معى لشعرت بالاعتزاز ، والفخار بتلك القلوب المؤمنة ، ولشعرت بالنشوة وأنت تستمع إلى عادات ، وتقاليد أهل السودان أيام شهر رمضان المعظم .

قال لى أحد العلماء : « السودانيون فى احتفالات دينية مستمرة طيلة شهر رمضان المعظم تقام السرادقات فى الميادين ، يتلى فيها القرآن الكريم من مشاهير القراء الذين يفدون إلى السودان عادة من وزارة الأوقاف بالجمهورية العربية المتحدة لإحياء ليالى شهر رمضان الكريم »

ولعـل من الأشياء الفريدة التى أدهشتنى ، وأبهجتنى ما سمعته من أحـــد العلماء قال :

« من عادات أهالى إحدى القرى السودانيـة (تسمى أم ضبان مركز الخرطوم بحرى ، على الضفة اليسرى للنيل الأزرق) أنهم يهتمون إهتماما بالغـاً بتحفيظ القرآن الكريم ، حتى أن الوالد يذهب بأبنائه إلى الخـلوة (مكتب تحفيظ القرآن) ويسلمهم للشيخ الذى تعوّد أن يلتزم بالغـــذاء ، والكساء ، والسكن مدة إقامتهم ، وإلى أن يتموا حفظهم للمصحف الشريف ، مهما طالت بهم مدة الإقامة .

ومن عادة الشيوخ مع الصبية الذين يلمسون فيهم عدم الرغبة فى حفظ القرآن الكريم ، أنهم يقومون بوضع قيد من حديد فى أرجلهم حتى لا يستطيعوا الهرب إلى مكان آخر أو العودة حتى إلى بيوتهم .

ومما هو جدير بالذكر أن هؤلاء الشيوخ لا يقبلون أجراً على ذلك ، وإنما حسبة لوجه الله ـ سبحانه وتعالى ـ لِتُيسر حالتهم ، وكإحدى عاداتهم من قديم الزمان .

وهناك أيضاً كتاتيب كثيرة تماثل تلك الخلوات المذكورة ، لكن لا يصل أعداد طلابها إلى أعداد الخلوات حيث يقدر عدد الطلاب فى كل خلوة بحوالى سبعمائة طالب فيهم الصبي والشيخ الكبير » .

* * *

والسودانيون عادة يبدءون الإفطار بتناول ثلاث حبات من التمر وكوب من اللبن ، أو مشروب آخر يشتهر به السودان يسمى (بريك) ثم يصلون المغرب ، وبعدها يواصلون تناول الإفطار .

وما أن ينتهي الإفطار حتى يخرج الناس إلى المساجد والزوايا لإداء صلاة العشاء والتراويح ، وسماع القرآن الكريم ، وإقامة الأذكار حتى ساعة متأخرة من الليل .

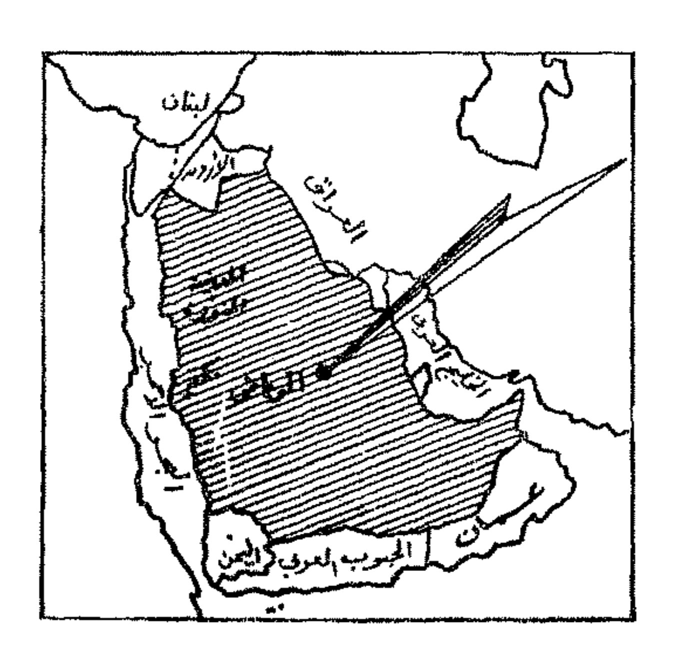
(ومما يستحق الذكر حرص أولى الأمر فى السودان على حضور كافة الاحتفالات التى تقام أيام الشهر الكريم خاصة ليلتى النصف والسابع والعشرين من الشهر) .

* * *

وهكذا عشت بعضاً من الوقت بين إخوة لنا من أبناء وادى نيلنا الخالد الذى يحمل الخصب والنماء من منبعه إلى مصبه .

وهكذا رأيت قطعة إسلامية غالية علينا يشكل سكانها قوة للاسلام والمسلمين فى كل أنحاء العالم .

السعودية



« إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي
بِبَكَّةَ مُبَارَكاً وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ فِيهِ
آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَن دَخَلَهُ
كَانَ آمِناً وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ
اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ
غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ »(١)

لمحة من التـــاريخ :

ان أول بيت بنى لعبادة الله ـ سبحانه وتعالى ـ هو بيت الله الحرام يتجه إليه ملايين المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها فى صلواتهم ، وكانت له منزلة مرموقة عند العرب جميعاً حتى قبل أن يشرق نور الإسلام ويعم الجزيرة العربية بنحو سبعة عشر قرنا من الزمان ، إذ اتخذه ـ حتى الجاهليون ـ على اختلاف أديانهم مكانا يتعبدون فيه ، كل حسب دينه ومذهبه .

ونزلت الآية الشريفة تبين للمسلمين ، وتؤكد لهم أنه أول بيت شيّد لعبادته ـ تعالى ـ ، وشيده سيدنا إبراهيم ، وابنه إسماعيل عليهما السلام بمكة المكرمة .

« وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْناً وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ

---

(١) سورة آل عمران ... الآية ٩٥ و ٩٦

مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ »[1]

« وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ »[2]

هذه هى الكعبة بيت الله العتيق ، الرمز الخالد لفكرة التوحيد ، والتى تهوى إليها أفئدة الناس من كل حدب وصوب يطوفون حولها ، ويبتهلون إلى الله فى رحابها ، ويتجهون إليه فى ظلالها .

* * *

ويقول رسولنا الكريم ـ صلوات الله وسلامه عليه :

« لا يكيد أهل المدينة أحد إلا إنماع ، كما ينماع الملح فى الماء » .

« من زارنى فى المدينة محتسباً كان فى جوارى ، وكنت له شفيعاً يوم القيامة » .

المدينة المنورة خير سكن لأنها حرم الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ ومهبط الوحى ، ومنزل الرحمات ، والبركات ، وخير بلاد الله ـ سبحانه وتعالى ـ بعد مكة المكرمة ـ محروسة لا يريد أحد أهلها بسوء إلا أذابه الله فى النار ذوب الرصاص ، محفوظة بالملائكة ، وبعناية الله ـ تعالى ـ وببركة دعاء رسوله عليه الصلاة والسلام .

* * *

ونعيش سوياً نفحة من نفحات الإسلام ، نستشعر من خلالها أخبار رحلة الرحلات ، حيث الوطن العربى الشقيق . . . المملكة العربية السعودية منبع

---

(١) سورة البقرة ... الآية ١٢٥ (٢) سورة الحج ... الآية ٢٥

الاسلام ، ومهد العرب ، شعت من ربوعها الرسالة الربانية التى حملها رسولنا الكريم ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ إلى كل أرجاء الأرض .

زرت السعودية مرات متعددة ـــ مبعوثاً من جمهوريتنا العربية المتحدة التى تحرص كل الحرص على إيفاد مشاهير القراء لإحياء ليالى شهر رمضان المعظم بتلاوة آى الذكر الحكيم ومدارسته فى كل أنحاء العالم العربى والاسلامى ـــ



صورة تذكارية لإحدى زياراتى للسعودية

وفى كل مرة أزور فيها المملكة العربية السعودية أرى فيها جديداً إذ تحرص الحكومة على تشييد المبانى الحديثة ، وكل الوسائل التى تكفل الراحة للحجاج .

والمملكة العربية السعودية تشمل حوالى ٨٧٪ من مساحة الجزيرة العربية . تمتد بين الخليج العربى ، والبحر الأحمر ، يحيط بها إطار من الدول العربية

المتاخمة لها ، إذ تقع اليمن على البحر الأحمر فى الجنوب العربى ، وفى أقصى الزاوية الجنوبية الغربية تقع عدن ، وتقع إلى الشرق منها حضرموت ، كما يتاخمها أيضاً فى الشمال الكويت ، والعراق ، والمملكة الأردنية الهاشمية .

* * *

حقائق ومشاهدات :

نزلت بنا الطائرة مطار جدة التى تقع على بعد ٧٥ كيلومترا من مكة المكرمة. والتى حسنت حتى صارت من أجمل موانى البحر الأحمر ، بها الجاليات الأجنبية ، والسفارات ، وبها ينزل الحجيج كل عام ليبدءوا رحلتهم المقدسة إلى بيت الله الحرام ، والروضة النبوية الشريفة .

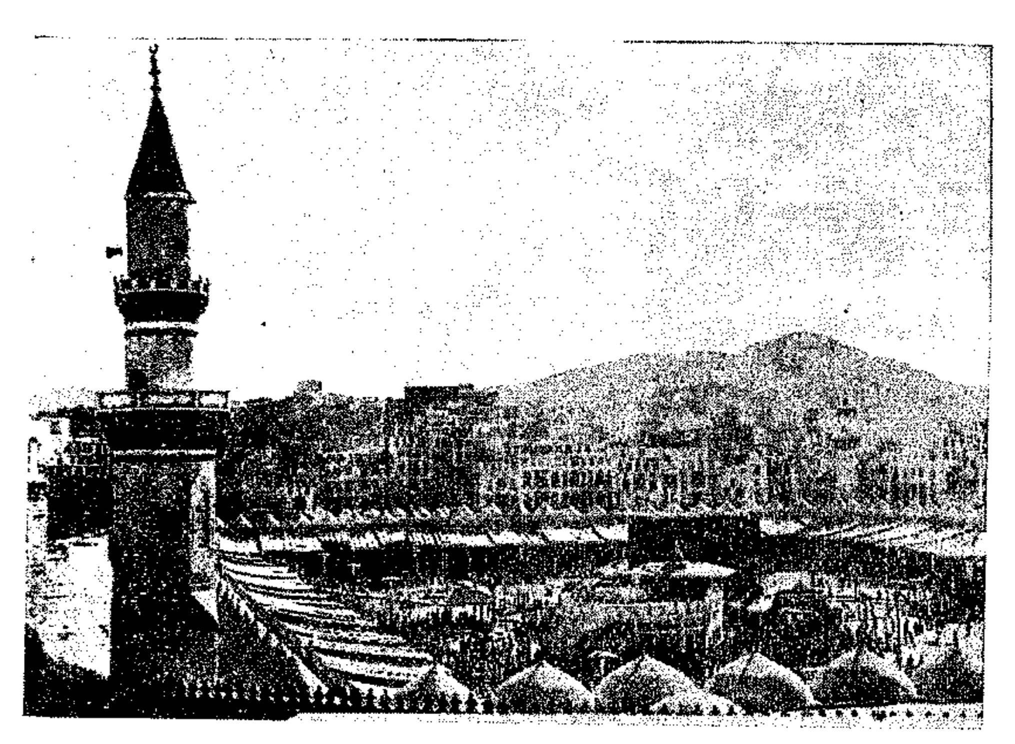
والواضح أن جزءاً كبيراً من السكان يعيشون فى مجتمع مستقر يتوزعون فى أماكن متفرقة فى داخل البــــلاد ، وعلى سواحلها بجوار الواحات ، حيث تتوافر احتياجاتهم من المـاء باستثناء الموانى .

ومن أهم المدن مدينة الرياض وهى العاصمة الحالية ، والجزء الأكبر منهــا حديث الأبنية والتخطيط ـــ وكانت مكة المكرمة عاصمة الأراضى الحجازية لفترة طويلة ـــ وتقع مدينة الطائف على منطقة جبلية عالية إلى الجنوب الشرقى من مكة ، وهى مدينة قديمة ، ومصيف مشهور فى الحجاز ، ويجعلهــا إنتاجها الزراعى من الفواكه ذات جاذبية خاصة فى الجزيرة كلها .

ولعل من أهم البـلدان لا فى المملكة العربية السعودية وحدها ، ولكن فى العالم العربى والإسلامى كله ... تلك المدينتين الشريفتين : مكة المكرمة ، والمدينة المنورة .

أما مكة فقد شرفها الله سبحانه وتعالى ببيته العتيق يقول جلت قدرته :

« وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ * رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ »(١)



الحرم المكى

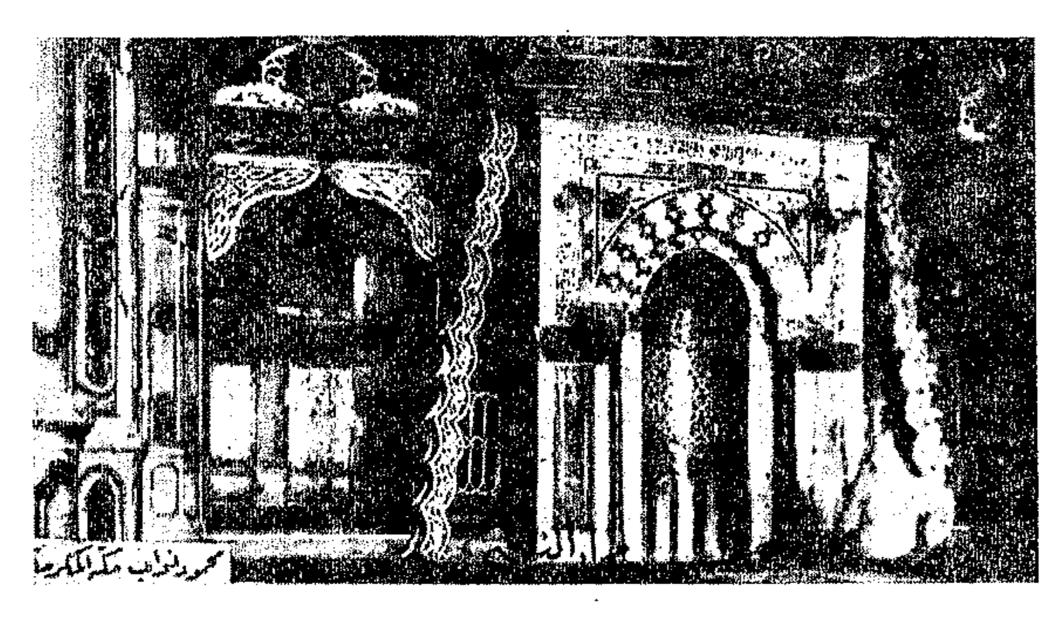
ومن أهم المزارات المكية خلاف المسجد الحرام والكعبة الشريفة ، مولد السيدة فاطمة فى درب الحجر وهو دار خديجة بنت خويلد زوج الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ وكذلك غار حراء ويقع فوق قمة جبل النور على يسارك

(١) سورة البقرة ... الأية ١٢٦ و ١٢٧

على طريقك إلى عرفة ، وفيه نزل الوحى على الرسول الكريم ، وهو يتعبد لأول مرة ، وفيه الغار الذى اختفى فيه هو وصاحبه أبو بكر — رضى الله تعالى عنه — عند الهجرة .

ومن المساجد هناك : مسجد الحسن ، ومسجد الراية ، ومسجد البيعة ، ومسجد أبى بكر ، ومسجد عمر ، ثم جبل أبى قيس وفيه مسجدى بلال ، وانشقاق القمر .

وإذا توجهت إلى المدينة المنورة مدينة الرسول ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ بلد الأنصار ، وجدتها البلد الطيب الوادع الجميل الهادىء المنسم العطر الذى تشرف بالروضة النبوية الشريفة .



محراب النبى صلى الله عليه وسلم

يقول صلى الله عليه وسلم :

« من زار قبرى وجبت له شفاعتى »

« صلاة فى مسجدى أفضل من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام ، وصلاة فى المسجد الحرام أفضل من مائة ألف صلاة فيما سواه » .

وعن الرسول صلوات الله وسلامه عليه أيضاً :

« من دخل مسجدى هذا يتعلم فيه خيراً أو يعلمه كان كمنزلة الجهاد فى سبيل الله ، ومن دخـــله بغير ذلك من أحاديث الناس كان كالذى يرى ما يعجبه وهو لغيره » .

ومن أهم المزارات فى المدينة المنورة :

مسجد قباء الذى يقع إلى الجنوب الغربى للمدينة ، ويبعد عن المسجد النبوى الشريف قليلا وهو أول مسجد أسس قبل بضعة قرون على يد النبي ـ صلى الله عليه وسلم .

وهناك مسجد الجمعة فى بطن وادى يسمى وادى رنوناء ، ومسجد الفتح ، ومسجد القبلتين .

وهناك أيضاً جبل أحد على مقربة من المدينة . يقول الرسول فى شأنه :

« إن أحداً على باب من أبواب الجنة فإذا جئتموه فكلوا من عضاهه » .

« أحد جبل يحبنا ونحبه » .

وهكذا حفلت كل من مكة المكرمة ، والمدينة المنورة بالكثير من الأماكن المقدسة التى يؤمها الحجيج من كل فج عميق تكملة لركن هام من أركان الإسلام الخمس ، وتبركا بها ، فمنها انبثق نور الهـداية المحمدية ، وانبلج شعاع الحق يحمل القيم العليا ، والمبادىء الاسلامية الخالدة التى عمت الدنيا بأثرها ، وأصبحت دستور المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها .

* * *

عادات وتقاليد :

ولتمام الحديث تسألنى . . . كيف يحتفل أهل تلك البـــلاد المقدسة بشهر رمضان المعظم ؟ أقول :

« يستقبل الأهالى شهر رمضان أروع إستقبال ، فيتوافدون إلى الحرم يطوفون بالكعبة الشريفة سبعاً مهللين مكبرين ، وفى كل شوط يستلمون الحجر الأسود ، ويجنحون نحو بئر زمزم فيشربون .

وفى كل ليلة من ليالى شهر رمضان الكريم ترى الأهالى بعد الإفطار يهرعون إلى المسجد الحرام لصلاة العشاء ثم التراويح ، وسماع القرآن الكريم ودروس العلم حتى ساعة متأخرة من الليل .

ومن الأشياء الجميلة التى شاهدتها هناك أن المؤذنون يقضون آخر ليلة من ليالى الشهر الكريم فى تهليل ، وتكبير ، وتسبيح ، وإنشاد ؛ بينما الناس ما بين طواف وصلاة مستمرة حتى صباح العيد .

والمدينة المنورة شأنها شأن مكة المكرمة، فالناس فى فرحة يسرعون إلى الروضة الشريفة مكبرين داعين ضارعين خاشعين ... كما تجد حلقات الدرس ، وحلقات تلاوة القرآن الكريم ومدارسته ، وحلقات شرح أحاديث النبي الكريم مستمرة من بداية الشهر المعظم حتى آخره .

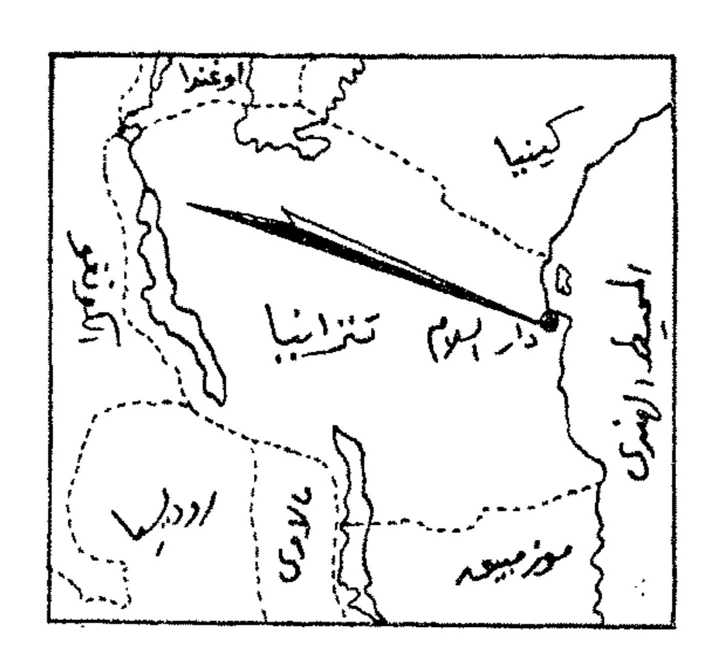
ولعل من الأشياء التى تستحق الذكر حرص أولى الأمر بالمملكة العربية السعودية على إقامة الاحتفالات لسماع القرآن الكريم ومدارسته طيلة الشهر الكريم ، وإقامة الموائد للفقراء والمساكين . كما أن من تقاليدهم أيضاً حضور هذه الاحتفالات خاصة ليلة النصف من الشهر الكريم وليلة السابع والعشرين منه .

* * *

وهكذا رأيت بيت الله الحرام ، رأيت الروضة النبوية الشريفة ، رأيت كل مكان فى هذه الأرض المقدسة يحمل بين جنباته نفحات الإسلام ، وأريجه الذكى العطر .

وهكذا رأيت مهد العروبة والإسلام المملكة العربية السعودية .

تنزانيا


اوغندا
كينيا
تنزانيا
دار السلام
المحيط الهندي
ملاوي
موزمبيق

« الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ
الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا قَيِّمًا
لِيُنْذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِنْ لَدُنْهُ وَيُبَشِّرَ
الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ
لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا »[1]

لمحة من التاريخ :

فى إحدى الأعوام سافرت إلى اقليمى : زنزبار وتنجانيقا (أو تنزانيا كما يسمونها اليوم) مبعوثاً من وزارة الأوقاف لإحياء ليالى عيد استقلالها .

هبطت بنا الطائرة فى مطار دار السلام العاصمة حيث استقبلنى جمع غفير من المسلمين ، صحبنى منهم شيخ جامع دار السلام ، الذى أخذ يشرح لى تاريخ بلاده قال :

« تقع بلادنا على الساحل الشرقى لأفريقية يحدها شمالا كينيا ، وأوغندا ، وجنوبا روديسيا ، وموزمبيق ، ومن الغرب يحدها رواندا اورندى ، وشرقاً المحيط الهندى.

تنقسم بلادنا إلى ثلاثة أقاليم طبيعية هى :

السهل الساحلى — الهضبة المرتفعة — الجبال المتدرجة حول كلمنجارو ، التى تعتبر أعلى جبال أفريقية ، وذلك بجانب جزيرة زنزبار .

(١) سورة الكهف ... الآية ١ و ٢

وشعبنا يتكون من حوالى مائة قبيلة ، أشهرها قبائل السوكوما ، والينا كيوزا ، والمساى ، والوشاجا ، كما يضم بجانب العنصر الأفريقى عناصر عربية ، وجالية من الهنود ، والباكستانيين ، وأهل جاوه .

ولغتنا اليومية هى اللغة السواحلية ، وهى لغة شرق أفريقية كلها .

غير أن اللغة الانجليزية دخلت مع الانتداب البريطانى ، وأصبحت لغة المعاملات الرسمية .

وعندنا ثلاثة أنواع من التعليم : (تعليم وطنى — تعليم أوربى — مدارس خاصة بالهنود) ، كما يلحق معهد دينى بكل مسجد لتحفيظ القرآن الكريم ومدارسته .

ولما لبلادنا من أهمية قصوى من ناحية الموقع ، والثروة المعدنية ، فقد كان لها مع المستعمرين صولات وجولات بدأتها ألمانيا حتى نهاية الحرب العالمية الأولى ، ثم استولت عليها كل من بريطانيا ، وبلجيكا ، وظلت بريطانيا تنوب عن عصبة الأمم وهيئة الأمم المتحدة فى الوصايات على البلاد إلى أن أعلن الاستقلال فى ديسمبر من عام ١٩٦١ وأصبحت بلادنا عضوا فى هيئة الأمم المتحدة . »

* * *

وكعادتى فى كل بلد أزوره سألت الشيخ عن كيفية دخول الإسلام إلى بلده ؟

أجابنى بقوله : « يقولون أن الظروف الجغرافية والاقتصادية للجزيرة العربية تحتم الارتباط البشرى الوثيق ، لذا عمل العرب منذ فجر التاريخ على احتكار العمليات التجارية خاصة بالأسواق الأفريقية والأسيوية ، وكان نتيجة اتساع نطاق علاقاتهم التجارية أن أقيمت المراكز التجارية الدائمة ، خاصة على شواطىء أفريقية الشرقية .

وحين ظهر الإسلام كان من الطبيعى أن تظهر آثاره بسرعة على هؤلاء الذين يسكنون تلك السواحل ، زيادة على الموجات الهجرية المستمرة إلى تلك المناطق من أفريقيا خاصة من عمـان والبحرين واليمن وحضرموت والاحساء ، والتى استقرت على الساحل الشرقى الذى كانوا يطلقون عليه (بر الزنج) .

ولقد ظهرت فى شرق أفريقية إمارات إسـلامية أسهمت بدور كبير فى تأصيل العقيدة بين السكان الأصليين ، وتحويلهم إلى جزء هام من العالم الإسلامى .

(ولعل إمارة زنزبار التى تحولت إلى جزيرة عربيـة إسلامية عندما جاءها أسطول كبير من المهاجرين والمحاربين العرب الذين حرروها من البرتغاليين الذين كانوا يستعمرونها منذ اكتشفها الرحالة المعروف(فاسكودا جاما) والتى نقل إليها سلطان عمـان ومسقط آنذاك بلاطه إليها عام ١٨٣٢ للميلاد ، وبنى لنفسه بيتاً على النظام العربى أسماه بيت العجائب ، لازالت آثاره باقية إلى الان) .

امتدت منها السمات العربية الإسلامية لتنتشر حول بحيرة تنجانيقا بالإضافة إلى المسلمين الفارين بمذاهبهم من الجزيرة العربيـة ، الذين لم يكتفوا بالبحيرة بل زحفوا بالإسلام إلى الداخل حتى وصـلوا إلى أوسامبارا ، وأوجيجى ، وأصبحت تنجانيقا وجزيرة زنزبار من الأماكن الأفريقية التى دخلها الإسـلام وانتشر بها بفضل المسـلمين وقوة مبادئهم ، وحرصهم الشديد على نشر الدين الإسلامى فى كل بلاد الدنيا .

بهذه الطريقة يؤرخ لدخول الإسلام بلادنا ، بل كل شرق أفريقية .

* * *

حقائق ومشاهدات :

وفى زنزبار رأيت طوائف متعددة : سنيون ، وأباضية ، كما أن هناك بعض الشيعة الاثنى عشرية .

وبها أيضا مدارس للطائفة الاسماعيلية ، كما أن بها مساجد ضخمة ومدارس ملحقة بها ، ولها نشاط تجارى واضح فى كل شرق أفريقيا .

وفى زنزبار رأيت طائفة البهرة ، وهم فرع من الشيعة ينتمون إلى رائدهم بالهند .

أما مسلمى تنجانيقا فرأيتهم يتبعون المذهب الشافعى ، عدا طائفتى الأباضية ، والهنود الاسماعيليين الذين يعيشون على مقربة من الشاطىء .

ومدينة دار السلام هى عاصمة تنجانيقا (أو تنزانيا الآن) تعدادها أكثر من مائة ألف نسمة ، تزدهر بالثقافة العربية ، إذ كانت مركزاً عربياً ومقاماً للعرب ، قامت بدور سياسى عظيم فى القرن الرابع والخامس عشر للميلاد .

وهناك من المدن الكبيرة مدينة كيوجونا وهى الميناء الرئيسى الثانى على بحيرة تنجانيقا .

* * *

عادات وتقاليــــد :

ولعل من أهم المعالم الإسلامية التى رأيتها حرص مسلمى هذه البلاد البالغ عددهم أكثر من المليونى نسمة على تأدية الشعائر الدينيـة والاحتفال بكل مناسبة إسلامية ، كالمولد النبوى الشريف ، وليلة الإسراء والمعراج ، بالإضافة إلى الاحتفالات الكبيرة التى يقيمونها خلال ليالى شهر رمضان المعظم .

رأيتهم يقيمون احتفالاتهم داخل المساجد المنتشرة هناك ، والتى ألحق بهـا كتاتيب لتحفيظ القرآن الكريم ومدارسته .

وعلى رأس هذه المساجد التى تبلغ حوالى ثمانية ، مسجد دار السلام الذى

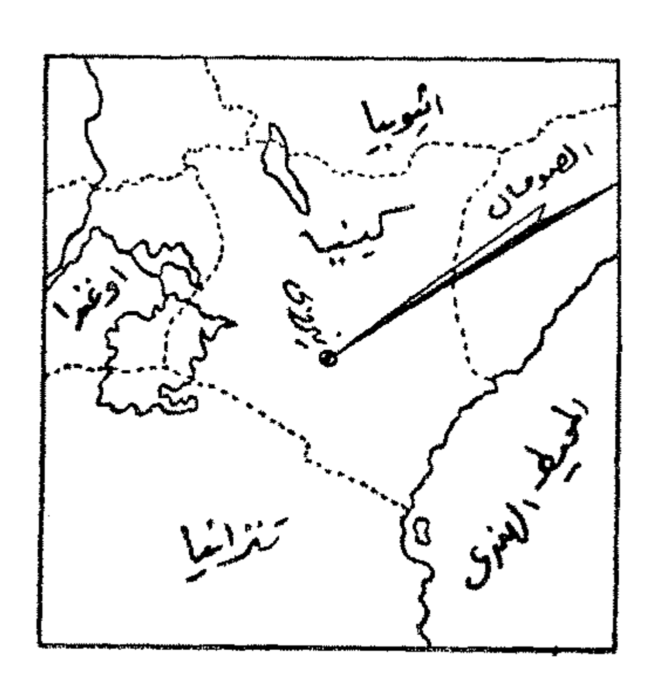
ألحق به مدرسة إسلامية كبيرة ، ويعتبره المسلمون هناك منارة الإســــلام التى تشيع بنورها على كل مناطق شرق أفريقية .

* * *

وهكذا قضيت بضعة أيام لا أحسبنى بعدت عن أهلى وعشيرتى ، فقـد عشتها بين إخوة لنا فى الإسلام وإن بعدت بهم الديار إلا أنهم يرتبطون بنا ، وبكل من نطق بالشهادتين فى مشارق الأرض ومغاربها .

وهكذا رأيت مسلمى تنجانيقا وجزيرة زنزبار اللتان يتكونان منهما الان دولة تنزانيا الصديقة .

كينيا



اثيوبيا
الصومال
كينيا
نيروبي
اوغندا
تنزانيا
المحيط الهندي

« يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي
خَلَقَكُمْ مِّنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ، وَخَلَقَ
مِنْهَا زَوْجَهَا ، وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً
وَنِسَاءً ... »(1)

ونعيش سويا أخبار رحلة قرآنية زرت خلالها بلد أفريقى هو ... كينيا . ولأحكى أخبار الرحلة منذ بدايتها :

فى إحدى السنوات سافرت مبعوثاً من وزارة الأوقاف بالجمهورية العربية المتحدة لكى أشارك المسلمين الكينيين احتفالاتهم بليالى شهر رمضان المعظم .

نزلت بنا الطائرة حيث مطار نيروبى العاصمة ، وهو غاية فى التنسيق يغلب عليه الطابع الأوربى الهندسى الحديث .

من المطار استقليت سيارة حيث نزلت بإحدى دور الضيافة الملحقة بأكبر مساجد نيروبى ، والمعدة لاستقبال الشخصيات الاسلامية الوافدة إلى كينيا من سائر البلاد الاسلامية .

لمحة من التاريخ :

حدثنى أحد المرافقين لى طيلة الرحلة قال :

« بعد كفاح مرير ، ونضال قاس اجبرت بريطانيا على أن تعترف بحقنا فى تقرير المصير ، وحقنا فى الحياة كشعب يتوق إلى الحرية ، ويعشقها ،

(1) سورة النساء ... الآية 1

ويقدسها ... وكان لنا ما أردنا ــ بعد حقبة طويلة من الاستعمار البغيض الذى جسم على صدورنا ــ

فى أول يونية من عام ١٩٦٣ للميلاد تكونت أول حكومة وطنية كينية برئاسة الزعيم جومو كنياتا الذى أفنى جزءاً كبيراً من عمره فى خدمة القضية الكينية .

وبلادنا تقع على ساحل المحيط الهندى ، وتمتد إلى الداخل حتى تصل بحيرة فكتوريا وأوغندا وتتصل حدود بلادنا بالحبشة ، والصومال ، والسودان .

تقول كتبنا التاريخية أن كينيا لم تعرف باسمها الحالى إلا فى يوليو عام ١٩٢٠ للميلاد ، وكان اسمها قديماً أرض (الزنج) .

وتتكون بلادنا حالياً من ستة مديريات :

مديرية الساحل وعاصمتها منبثه ، المديرية الوسطى وعاصمتها نيرى .

وادى رفت وعاصمته نكيورى ، مديرية نترا وعاصمتها كيوميو .

المديرية الشمالية وعاصمتها اسبليو ، المديرية الجنوبية وعاصمتها فجوجو ، ونيروبى العاصمة ، وتعتبر بمثابة منطقة بذاتها .

أما أهم موانى بلادنا فهى منبثه وأيضاً كينزوبن ، ولغتنا هى السواحلية لغة أغلب سكان شرق أفريقية ، لكن بعض القبائل تتكلم لغات البانتو الشهيرة .

ومن أشهر القبائل التى تسكن أرضنا قبائل الكيكويو ، والمساى ، ولميبوا ، والبالوهيا ، كما أن بيننا قبائل صومالية مسلمة تنتشر خاصة فى شمال كينيا » .

* * *

وكعادتى فى كل بلد أحل به ، أحاول أن أعرف أهم المعلومات عنه خاصة ما يتعلق بدخول الإسلام إليه .

سألت المرافق ... أجابني :

« يؤرخ لبداية الهجرات العربية إلى شواطيء أفريقية الشرقية إلى ما قبل ظهور الإسلام بحوالي خمسة قرون أو يزيد ، يوم كانت الظروف الجغرافية والاقتصادية تحتم هذا النوع من الارتباط البشرى الوثيق بين العرب ، وتلك المناطق الشاسعة الغنية بالثروات الطبيعية والحيوانية .

وحينما ظهر الإسلام وعم نوره كل أرجاء الجزيرة العربية كان من الطبيعي أن تظهر آثاره بسرعة بين البلاد المتاخمة لهذه الرسالة المحمدية ... خاصة تلك المدن الأفريقية الساحلية ... وكانت الشواطيء الشرقية (بلادنا) من أهم تلك المناطق التى تأثرت بالإسلام من أول عهده .

غير أن الهجرات العربية التجارية والبشرية لم تزداد بدرجة كبيرة مثلما ازدادت بعد ظهور الإسلام مباشرة خاصة من مناطق : عمان ، والبحرين ، والأحساء ، واليمن ، وحضرموت العربية ، وكانت هذه الهجرات دائماً ماتتخذ من السواحل الشرقية مقاما لها .

بل كان لها الفضل أيضا فى تشييد أغلب المدن على طول الساحل الشرقى الذى أطلقوا عليه اسم (بر الزنج كما أسلفت) .

كانت قلوة ، وزنزبار ، وممبسة ، وسوفالا ، ومالندى من أهم تلك المدن .
منذ ذلك الحين ، وحتى يومنا هذا لازالت أحفاد تلك القبائل تسكن المناطق الساحلية ، ويزداد عددها يوما بعد يوم ، وسنة بعد أخرى ، حتى قدر عدد هؤلاء العرب بما يزيد عن المليون نسمة ، أغلبهم يشتغل بالتجارة .

وكان لتلك الهجرات العربية الإسلامية أيضاً فضل المصاهرات بينها وبين الوطنيين أصحاب البلاد الأصليين خاصة أيام ازدهار سلطنة زنزبار الاسلامية الشهيرة التى كان لها الفضل فى نشر الاسلام واتساع رقعته فى تلك المناطق من أفريقية » .

حقائق ومشاهدات :

وكانت رحلتى إلى كينيا رحلة ممتعة حقاً فقد حبى الله ـ سبحانه وتعالى ـ تلك البقعة من الأرض بمناظر طبيعية خلابة .

فهناك الغابات التى تحيط بها من جوانب متعددة ، وهناك شلالات الماء الهادرة ، وفوق هذا وذاك ، هناك الأبنيـــة ، والشوارع ، والميادين ذات التخطيط الأوربى الحديث .

ولعل من أكبر الأبنية الحديثة التى زرتها معهد الدراسات الاسلامية ، يؤمه عدد غفير من المسلمين من أماكن كثيرة من أفريقية خاصة تنجانيقا ، وأوغندا ، والصومال .

وأيضاً جمعية مسلمى كينيا ، وهى تضم عدداً كبيراً من المسلمين الكينيين تصـدر نشرة دورية باسمها تحمل أخبار المسلمين ، كما تقوم بمساعدة الفقراء والمساكين ، وجمع التبرعات ، والهبات لإقامة المساجد والمعاهد الدينية .

وللمسلمين الكينيين ـ ســواء أكانوا عرباً أم طوائف أخرى ـ عادات وتقاليد متوارثة نحس منها شدة استمساكهم بالسمات العربية الاسلامية الأصيلة سواء فى المعاملات التجارية أو حتى فى طرائق احتفالاتهم ، فما من مناسبة دينية تمر ، إلا وتجد الاحتفالات والزينات فى كل بيت إسلامى كينىّ .

حدثنى شيخ مسجد نيروبى قال :

«يغلب على المسلمين هنا المذهب السنى ، غير أن هناك عدد كبير من أشياع مذهب الأباضية ، والاثنى عشرية ، والاسماعيلية ، وأيضاً طائفة البهرة وأغلبهم من الهنـود ، أغنى سكان بلادنا ، لهم مدارسهم ، ومساجدهم ، غير أنهم عادة ما يشتركون مع إخوانهم المسلمين فى الاحتفال بكل مناسبة إسلامية .

ولو كنت معى لشاهدت مجموعة فريدة من المساجد التى بنيت على أحدث طراز هندى . فهناك مثلا مسجد الأحمدية بمدينة نيروبى العاصمة ، وأيضاً مسجد ممبسة الكبير ، ومسجد آخر يعد من أكبر مساجد كينيا ألحق به معهد التعليم الإسلامى الذى يقوم على تحفيظ القرآن الكريم ومدارسته للطلاب من أنحاء كينيا وما جاورها من بلاد أخرى .

* * *

عادات وتقاليد :

لا أنسى أن أنقل لكم أحاسيس ومشاعر مسلمى كينيا خلال أيام وليالى شهر رمضان المعظم ، فهم يحرصون كل الحرص على إقامة الاحتفالات فى المساجد والزوايا خاصة ليلتى النصف من الشهر الكريم وليلة القدر .

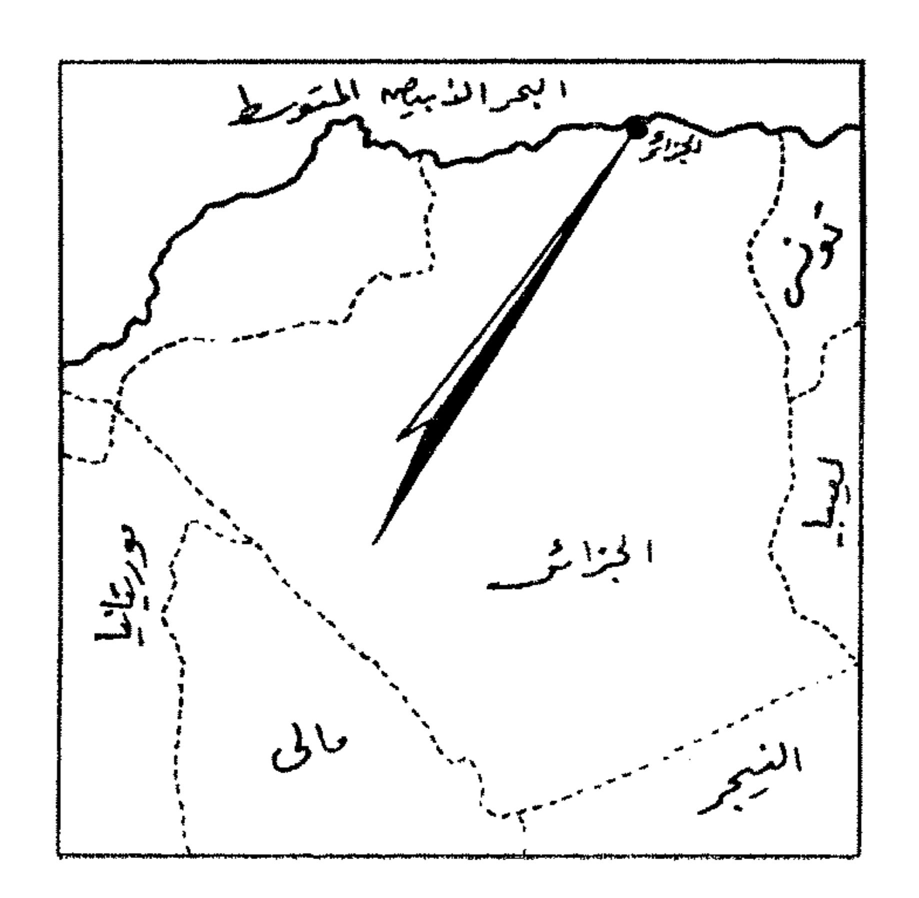
ومن عاداتهم إقامة موائد الإفطار للفقراء طيلة أيام الشهر ، كما أنهم يحرصون أيضاً على كل المظاهر الإسلامية التى تشعر من خلالها مدى ارتباطهم بدين آبائهم دين محمد ــ خاتم الأنبياء والمرسلين ــ صلوات الله وسلامه عليه .

* * *

وهكذا رأيت كينيا البلد الأفريقى الصديق الذى يقال أن العلاقات القائمة حالياً بينه وبين جمهوريتنا العربية المتحدة ، إنما هى امتداد للعلاقات الوثيقة التى كانت تربط (بر الزنج) بمصر منذ أمد بعيد ، يوم دخل الإسلام تلك المناطق من أفريقية ، وازدهر ازدهاراً واسعاً خاصة أيام الممالك الإسلامية التى أنشأها العرب كمملكة : زنزبار ، وعلوة وغيرها .

وهكذا رأيت مسلمى كينيا عرب خلص يحرصون إلى أبعد حد على دينهم القويم ، وتقاليدهم وعاداتهم الإسلامية المتوارثة .

الجزائر



البحر الأبيض المتوسط
الجزائر
تونس
ليبيا
الجزائر
موريتانيا
مالى
النيجر

« وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَـٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ، وَحَسُنَ أُولَـٰئِكَ رَفِيقًا »[1].

وكانت إحدى رحلاتي القرآنية إلى الوطن العربي الشقيق ، قلعة الأبطال ، بلد المليون شهيد ... الجزائر الحبيبة .

لمحة من التاريخ :

ما أن نزلت بنا الطائرة أرض مطار الجزائر العاصمة ، حتى رأيت جمعاً غفيراً من العلماء يهرعون لاستقبالى . . . فهم يعتبرون كل عربى على وجه العموم ، وكل مصرى على وجه الخصوص ، حلٌ ، وأهل .

ومن المطار أقلتنى سيارة فخمة إلى أحد أماكن الضيافة ، مكثت به طيلة إقامتى هناك ، كما خصص لى مرافق خاص أخذ يشرح ويجيب على كل ما يعن فى خلدى من أسئلة حرصت دائماً أن أعرف لها جوابا .

بادرنى مرافقى بقوله : « إن الجزائر إقليم عربى عريق التاريخ ، يعد أكبر دولة أفريقية فى الشمال ، يطل على البحر الابيض المتوسط ، يحده من الشرق تونس وليبيا ، ومن الغرب المملكة المغربية .

أما من الجنوب فيحده من الشرق إلى الغرب النيجر ، ومالى ، وموريتانيا .

---

(١) سورة النساء ... الآية ٦٨

تتألف بلادنا من قسمين كبيرين :

القسم الشمالى الآهل بالسكان ــ وقسم الصحراء والواحات الجنوبية .

وقبل أن يكمل المرافق حديثه ، سألتــه عن تاريخ دخول الإسلام بلاده ؟

قال : « قبل أن أجيب على هذا السؤال أحب أن ألفت النظر إلى أننا نستخدم لفظ (المسلم) لتمييز غالبية الشعب عن الأقليــة الأوربية ، ولذلك فإن هذا المدلول يرمز إلى الشعب ، وإلى الثقافة ، وإلى اللغة أكثر مما يرمز إلى الدين .

والمسلمون هنا فى الجزائر هم سكان البلاد ، وأصحابها بحكم التاريخ ، والواقع ، والقانون .

وهم ينحدرون من أصلين اثنين : أصل بربرى ، وأصل عربى وارد مع الفتوحات الإسلامية » .

وإجابة على سؤالكم أقول : « يرجع تاريخ دخول الإسلام بلادنا إلى أزمان بعيدة ، يوم تم الفتح العربى الإسلامى عام ٦٦٧ من الميلاد ، عندما دخل عبد الله ابن سعد ، وعبد الله بن الزبير منتصرين على الرومان ، ووحدوا بلاد المغرب ، وأقاموا بها دولة الفاطميين .

غير أن المعز لدين الله رأى الانتقال إلى مصر ، بعــد أن انتشرت تعاليم الإسلام السمحة فى كل الأرجاء ، وأشرق الإسلام بنوره فعم القلوب ، واستقر فيها استقراراً تاما .

وبلادنا تمتعت بالاستقلال زمناً طويلا ، إذ أسس (بنو حماد) دولة الجزائر المستقلة ، وتعاقب على حكمها دولة الموحدين ... وبنو زيان .

وعندما أخذ القراصنة الأسبان ، والبرتغاليون يهاجمون مدن الجزائر تدخل

الاتراك ، واتخذوا من (جزائر بنى مزغنة) عاصمة لهم ... وكانت بلدة صغيرة تتوسط الساحل ، وأمامها عدد من الجزر .

وسرعان ما أخذ الاتراك فى تعمير تلك المدينة حتى أصبحت من أكبر المدن الافريقية ، وصارت تعرف باسم مدينة الجزائر ، ثم أطلقوا اسمها على كل البلاد المترامية التى تدين لحكمها .

وهكذا نشأ فى مستهل القرن السادس عشر (قطر الجزائر) وقام السلطان سليمان القانونى بضمه إلى الدولة العثمانية .

ولكن الجزائر أخذت توسع استقلالهـا حتى لم تعد تربطها بالخليفـة العثمانى سوى روابط شكلية فقط ، وأصبحت لها قوة عسكرية لا يستهان بها ، وكان أهم هذه القوة : تلك القوة البحرية التى كانت مكونة من ٢٢٠ سفينة حربيـة عليها أكثر من ٣٠ ألف بحار جزائرى ، وهو عدد ضخم فى ذلك الوقت .

ومما هو جدير بالذكر أن هـذه القوة البحرية الجزائرية هزمت الجيوش الاسبانية مرتين فى عامى ١٥٤١ و ١٧٧٥ من الميلاد .

كان هذا شأن بلادنا ، إرتباط وثيق بالعروبة والإسلام ، وعمل دائب على الاستقلال ... إلى أن جاء الاستعمار الفرنسى فدخل مدينـة الجزائر فى يوم ٤ يوليو سـنة ١٨٣٠ للميلاد ، وظللنا نكافحه عاما بعد عام بكل قوة وعزم حتى حمل عصاه ورحل إلى غير مارجعة ، وعادت بلادنا لنا حرة كريمة لايدنسها غاصب ولا مستعمر .

منذ ذلك التاريخ الطويل الحافل دخل الإسلام الجزائر ، كما دخل كل بلاد الشمال الأفريقى ، وأصبح الإسلام دين تلك المنطقة من أفريقية .

وأضاف المرافق بقوله : ولعل من أهم القبائل العربيـة التى كان لها فضل

دخول الإسلام بلادنا قبائل : جوشم ، ورياح ، وزغبة ، ومعقل ... وكلهم من بني هلال بن عامر ... وأيضاً قبائل : دياب ، وزغب ، وعون ... وهم من بني سليم بن منصور .

ويقال أن مدينة تلمسان كانت من أعظم البلدان الجزائرية رفعة ، وكانت تزخر بالعلماء ، والفقهاء ، ومعظم أهل بلادنا سنيون ، بيد أن منهم من يؤمن بالدعوة الشيعية التي ورثوها من الدولة الفاطمية » .

* * *

حقائق ومشاهدات :

وعشت فترة بالوطن العربي الإسلامي الشقيق أحسست خلالها كرم أهله وشهامتهم وحرصهم على كل المظاهر الإسلامية المتوارثة .

ولعلك كنت معي لتشاهد عظمة تلك البلد وجماله ، فله من جمال الطبيعة نصيب كبير .

كما أنك تحس مدى العمل الدائب على تغيير وجه الأماكن ذات الصبغة الأوربية إلى أصلها العربي .

فهناك رأيت الكثير من الأماكن التي تحمل ذكريات تاريخية قديمة .

ولعل من الأماكن التي زرتها هناك ولها تاريخ نضالي عريق جمعية عربية إسلامية تسمى (جمعية علماء الجزائر) يرجع تاريخ تأسيسها إلى عام ١٩٢٩ للميلاد ، كانت تعتمد على الإصلاح الديني والاجتماعي ، وكان لها دور كبير في جمع كلمة أبناء الشعب ضد الاستعمار ، والعمل على إزالته .

وأيضاً عملت هذه الجمعية على تأسيس المدارس ، والمعاهد الإسلامية . كان من أهمها معهد عبد الحميد بن باديس ، وعدة مدارس ومعاهد على كل المستويات.

عادات وتقاليد :

ولشهر رمضان المعظم عادات وتقاليد تكاد تكون متوارثة بين أهالى الجزائر .

فهناك ظاهرة دينية رمضانية ، هى احترام الصوم ، فلا ترى مفطر أثناء النهار مطلقاً ، كما تقفل المقاهى والمطاعم .

يقولون : « يمكف حتى السكير عن شرب الخمر قبل بداية الصوم بأربعين يوما » .

والمعاهد والمدارس الاسلامية كأنها فى شبه عطلة طوال أيام الشهر الكريم .

كما تقيم كل مدرسة أو معهد من المعاهد حفلا أسبوعياً يتسم بالمظهر الدينى البحت .

ومن الأشياء التى سررت لها جداً حرص الأهالى على تعليم أطفالهم الصلاة وتعويدهم الصيام منذ الصغر .

كما يقوم المدرسون طيلة الشهر الكريم بتحفيظ أطفال القرى القرآن الكريم قبل صلاة العشاء فى كل مساجد الجزائر .

ومن أهم المساجد التى شاهدتها هناك مسجد كتشاوة بساحة الشيخ عبدالحميد ابن باديس (كان الاستعمار قد حوله إلى كنيسة ، لكنه سلم لوزارة الأوقاف الجزائرية بعد الاستقلال) .

وأيضاً المسجد الكبير ، والمسجد الجديد ، وهما بساحة الشهداء .

ثم مسجد سان توجان فى ضواحى الجزائر فى حى باب الوادى .

ولعل من العادات الاسلامية التى يتمسك بها الأهالى بدأ الإفطار بتناول ثلاث حبات من التمر وكوب من اللبن ، ثم يصلون المغرب وبعده يكملون إفطارهم المكون عادة من الفريك واللحم وطواجن الحلوى .

وبين فترات يتناولون المخارق والخفاف ، وهى أطعمة خفيفة يشتهر بها أهل شمال أفريقية كله .

ووسيلة الايقاظ للسحور هو المؤذن الذى يصعد مآذن المساجد وينادى على الناس للسحور .

ولعل من العادات الجزائرية اللطيفة خروج الأطفال فى شكل جماعات يغنون ، ويحملون الفوانيس ويطوفون بالشوارع والمنازل .

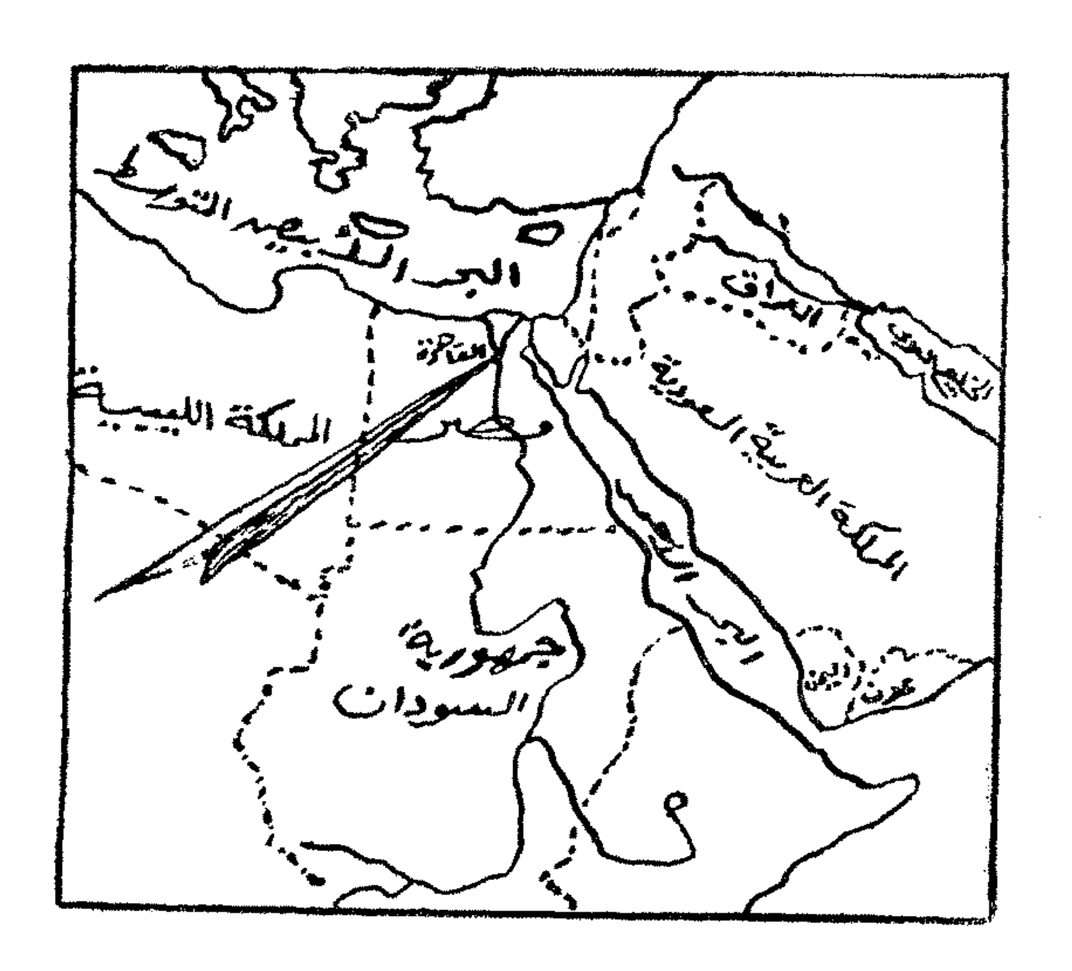
وهكذا تحس البشر فى كل مكان داخل الجزائر خلال أيام وليالى شهر رمضان المعظم .

* * *

وهكذا رأيت الجزائر الوطن العربى الشقيق ، رأيت شعبه المكافح ، سمعت تاريخه الحافل بكل ألوان التضحية والفداء .

وهكذا عشت أيام شهر رمضان المعظم بين إخوة لنا فى العروبة والاسلام أستشعر تاريخهم النضالى ، وأحيي ليالى الشهر الكريم بقراءة القرآن الكريم ومدارسته مبعوثاً من جمهوريتنا العربية المتحدة إلى الجمهورية الجزائرية الشقيقة .

الجمهورية العربية المتحدة



« إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا ، وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ ، وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ » [1] .

وها نحن نصل بك أخى المسلم إلى مسك الختام ، لكنى رأيت أن أستوقفك بعض الوقت ... فلعلك مصطحب تلك العجالة عند سفرك ، ورآها أخ مسلم خارج جمهوريتنا العربية المتحدة فله نقول : تقع الجمهورية العربية المتحدة فى الركن الشمالى الشرقى لقارة أفريقية يحدها شمالا البحر الأبيض المتوسط ، وجنوباً السودان ، وشرقا البحر الأحمر ، وغربا الصحراء الليبية .

يرجع تاريخ دخول الإسلام أرضنا الحبيبة ـ مصر الخالدة ـ أيام خلافة سيدنا عمر بن الخطاب ـ رضى الله تعالى عنه ـ عام ١٨ للهجرة ... عندما طلب منه القائدالعربى المسلم عمرو بن العاص أن يأذن له فى السير إلى مصر ، وأرسل له رسالة طويلة بهـذا الشأن جاء فيها : « إنك يا أمير المؤمنين إن فتحت مصر كانت قوة للمسلمين ، وعوناً لهم » .

لكن سيدنا عمر تردد أول الأمر ، غير أن عمرو بن العاص استطاع أن يقنعه بأن هذا الفتح الجديد سيكون فتحاً للمسلمين عامة ، وخلاصاً لأبناء مصر من المستعمرين الذين يستنزفون خيراتهم ويسلبون أموالهم ، ومتاعهم بغير حق .

عند هذا الحد اقتنع سيدنا عمر بوجهة نظر عمرو ، وأذن له بالسير ناحية مصر .

---

(١) سورة الحجرات ... الآية ١٤

وعلى بركة الله سار جيش المسلمين يخوض المعارك الكثيرة حتى استطاع السيطرة على أغلب الأراضي المصرية ، ورفع عمرو شعاره الإسلامي الواضح الذى بعث به إلى حاكم مصر آنذاك ، « ليس بيننا وبينكم إلا إحدى خصال ثلاث » :

إما دخلتم فى الإسلام فكنتم إخواننا ، وكان لكم مالنا ، وعليكم ما علينا .

وإن أبيتم فالجزية .

وإما القتال حتى يحكم الله بيننا وبينكم وهو أحكم الحاكمين .

منذ ذلك التاريخ انتشرت القبائل العربية مع الفتح الإسلامى فى كل أرجاء مصر ، حملت معها ـ أى تلك القبائل ـ الإسلام تدعوا للدخول فى زمرته .

وتوالت على مصر منذ الفتح العربى الإسلامى عصور زاهرة ، أصبحت فيها حصناً من حصون الإسلام ، ومعقلا من أهم معاقله تذود عن حياضه ، وترفع مبادئه السامية وقيمه الخالدة أبد الدهر .

غير أن مصر لم تنل حظاً من ريادة الدعوة الإسلامية مثلما نالته هذه الأيام .

فالإسلام اليوم ملىء القاهرة تحرص على دفعه حيثما كان مسلم على وجه الأرض .

كان الفضل كل الفضل للثورة المباركة ـ ثورة ٢٣ يوليو من عام ١٩٥٢ ـ التى لم تكن ثورة اجتماعية سياسية فحسب إنما كانت أيضاً ثورة دينيــة إسلامية خالصة لوجه الله ، رفعت كيان الدعوة الإسلامية ، وعملت منذ أول يوم فى عمرها على السير بهدى تعاليم ديننا الحنيف ، وجعله دستوراً لها ـ لا يأتيه الباطل من بين يديه ، ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ـ

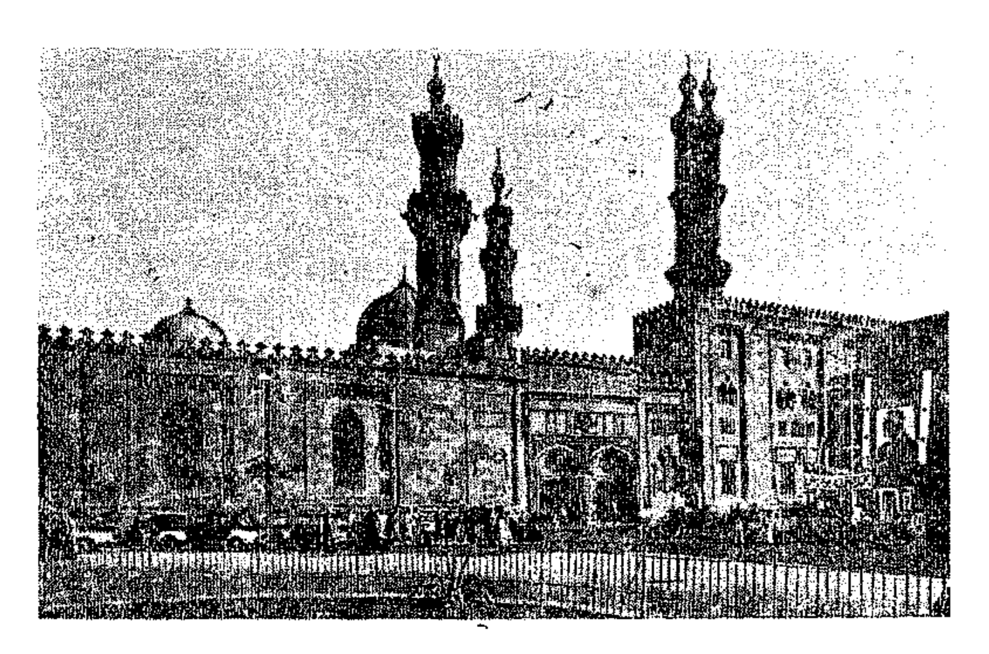
وقيض الله ـ سبحانه وتعالى ـ لبعث الرسالة المحمدية القائد المؤمن سيادة الرئيس جمال عبد الناصر ، الذى شجع على إنشاء أجهزة الدعوة الإســلامية الجديدة ، وإحياء الأجهزة القــديمة حتى تؤدى دورها الفعال فى رفع منار الاسلام ، كما شجع النابهين من العلمــاء والأدباء فى شتى فروع المعرفة .



(سيادة الرئيس جمال عبد الناصر ، وفضيلة الإمام الأكبر شيخ الجامع الأزهر ، والسادة نواب الرئيس ، والوزراء ، والسيد رئيس مجلس الأمة فى إحدى الاحتفالات الدينيـة)

فهنالك من القديم « الأزهر الشريف » الذى يعتبر من أقدم المعالم الإسلامية فى مصر ، بناه ــ جوهر الصقلى ــ عام ٣٦١ للهجرة ، شغل منذ بنائه مكانة رفيعة فى العالم الإسلامى . يقول فضيلة الإمام الأكبر الشيخ حسن مأمون :

أنشىء « الجامع الأزهر » مسجداً للعبادة ، ومنارا للعلم والهداية ، وكان من يوم إنشائه ، ومن أكثر من ألف سنة جامعة إسلامية يؤدى رسالة الإسلام ، ينشر دين الله ، ويحفظ التراث الإسلامى ، معقلا للدين واللغة العربية .



(الأزهر الشريف)

يعلم أبناء المسلمين من شتى أنحاء العالم الإسلامى ، ويفقههم فى دينهم لينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون .

فالأزهر كان ، ومازال يؤدى هذه الرسالة الخطيرة ، ويعلم أبناء المسلمين من منابع الإسلام الصافية كتاب الله ، وسنة رسوله ــ صلى الله عليه وسلم ــ

وقد كان الأزهر منذ القدم ، وما زال قلعة الحرية جابه ظلم الحاكمين ، ورد عدوان المعتدين ، وكثيراً ما كان ــ يهرع إليه ــ إذا نزلت بالناس الحادثات فيجدون في رحابه الرأى ، والمشورة ، ومن علمائه الزعامة والقيادة » .

ولعل « الأزهر الشريف » لم يشهد نهضة كما شهدها هذه الأيام خاصة بعد أن امتدت روح ثورتنا المباركة إليه ، يوم أصدر سيادة الرئيس جمال عبد الناصر قانون تطويره ، الذى أدخله فى دائرة الاصلاحات الثورية الشاملة ليتبوأ مكانته اللائقة به فى مصر ، وسائر أنحاء العالم العربى والاسلامى ، وليظل أقدم وأكبر جامعة إسلامية فى الشرق والغرب ، كما كان منذ أكثر من ألف عام .

* * *

ولنا فى هذا المقام أيضاً أن نسجل بكل فخر واعتزاز إحدى أعمال ثورتنا المجيدة لنشر رسالة الإسلام ، ودعمها بشتى الطرق ، والوسائل الإعلامية ألا وهو المجلس الأعلى للشئون الإسلامية .

استطاع المجلس فى مدة وجيزة منذ إنشائه عام ١٩٦٠ ، أن يخطو بالدعوة الاسلامية إلى أعماق أفريقيا ، وآسيا ، بل وفى قلب أوربا نفسها ، وفى كل مكان يسمع فيه نبض للاسلام .

فعمل بجد على التعريف بالاسلام بين شعوب العالم ، وتشجيع ، ودراسة اللغة العربية لغة القرآن الكريم ، وإحياء التراث الاسلامى ، ونشر الثقافة الاسلامية ، وبث الوعى الدينى بما يتفق ، وأصول وحدة الدعوة الاسلامية ، وتبصير المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها بحقائق الإسلام ، وأصول أحكامه ، وشرائعه ، لدحض المهاترات ، والأباطيل التى تروج ضد الإسلام ، بفعل المستعمرين والصهيونيين ، والمبشرين .

وللمجلس أيضاً نشاط واسع فى النطاق المحلى ، والمجال الخارجى ... فمن أبرز أعماله أنه :

قام بالإسهام بالمعونات المالية فى تنفيذ عديد من المشروعات الدينيــة ... كالمساهمة فى إنشاء وتعمير المساجد ، والمعاهد الدينية ، والمراكز الإسلامية ، بما يكفل دعم الجانب الروحى والأخلاقى فى المجتمعات الإسلامية فى أفريقيا وآسيا ، وأوربا ، وبعض دول أمريكا اللاتينية .

وعمل المجلس على إحياء التراث الإسلامى الثقافى ، والدينى باصدار الـكتب والمطبوعات بمختلف اللغات وتوصيلها إلى كل مكان به إسلام .

كما اهتم المجلس أيضاً باخراج « موسوعة جمال عبد الناصر فى الفقـــه الإسلامى » ... وهى موسوعة إسلامية شاملة جامعة تهم جميع الباحثين ... هذا بجانب سلاسل عديدة من « الـكتب الإسلامية » وأخرى تتولى التعريف بالإسلام « ودراسات فى الإسلام » .. وكلها تعرض ، وتشرح الثقافة الاسلامية فى أسلوب علمى سهل مبسط .

هذا بجانب النهضة الصحفية التى حققها المجلس الأعلى للشئون الاسلامية الذى يصدر مجلة « منبر الاســـلام » باللغات العربية والانجليزية والفرنسية والأسبانية ، وتلاقى هذه المجلة الاسلامية أوسع إنتشار على الصعيد العالمى .

كما أعد المجلس أيضاً تفسيراً سهلا للقرآن الـكريم ، وقام بترجمته إلى مختلف اللغات الأجنبية ... وكذلك الأحاديث النبـــوية ، وسائر الدراسات الدينية التى تعالج الجوانب الاسلامية بأسلوب علمى حديث .

كل هذه الأعمال الجليلة قام بها المجلس تيسيرا لاتساع نشر الثقافة الاسلامية على الآفاق ، وتبصير المسلمين فى شتى أنحاء العالم بحقائق الاسلام ، وثرواته الفـكرية .

وأيضاً سجل لأول مرة فى تاريخ الاسلام أكبر مشروع إسلامى ، لتجميع القرآن الكريم جمعاً صوتياً ... فكان المصحف المرتل ، وتسجيل الأذان ، وكيفية الوضوء ، والصلوات الخمس ، وشرحها باللغات العربية والأجنبية . (وكنت أول من رتل المصحف الشريف بروايتى حفص عن عاصم ، وورش عن نافع) ،(كما كان لى شرف تقدير سيادة الرئيس جمال عبدالناصر عندما منحنى وسام العلوم والفنون من الدرجة الأولى فى عيد العلم لسنة ١٩٦٦ ميلادية) .

* * *

أما وزارة الأوقاف ، والاذاعة ، ووسائل الاعلام الأخرى فلها أيضاً نصيب كبير فى دفع إشعاعات الفكر العربى الاسلامى إلى كل أنحاء الدنيا .

فوزارة الأوقاف تبعث بمشاهير القراء ، والعلماء إلى كل البلاد الإسلامية لإحياء ليالى شهر رمضان المعظم بتلاوة القرآن الكريم ، ومدارسته ، كما تزود المعاهد الإسلامية فى تلك البلاد بالمدرسين ، وتقوم بالإشراف الكامل على كل مساجد الجمهورية العربية المتحدة ، وإمدادها بكل ما يلزمها من وعاظ وموظفين وما إلى ذلك ، كما تقوم الوزارة أيضاً بالإشراف العام على كل أجهزة الدعوة الاسلامية ، ورعاية القراء ، وكذلك الاشراف التام على كل الجمعيات الإسلامية وجمعيات تحفيظ القرآن الكريم ، وإيجاد عمل لكل من يحفظ القرآن الكريم ليحيا حياة حرة كريمة .

وتحمل موجات الأثير عبر إذاعة القرآن الكريم آيات الله البينات لتنشر الطمأنينة فى القلوب ، وأيضاً آراء علماء الإسلام فى شتى المسائل الفقهية والشرعية .

* * *

ولعل من الأشياء التى لا بد أن تحرص على مشاهدتها عندما تزور أرض الكنانة مساجدها ومزاراتها ، وآثارها ، فمصر تتميز بكثرة الآثار الإسلامية

كبيراً التى تحكى أزهى عصور التاريخ كما أن بها عدداً من المعاهد الدينية على كل بالمستويات ، وأيضاً بها المتحف الاسلامى ، وأعداد هائلة من جمعيات تحفيظ القرآن الكريم ، كما أن بالقاهرة وحدها ما يقرب من الألف مئذنة .

فهناك مثلا مسجد عمرو بن العاص بالفسطاط ، الذى يعتبر أول مسجد بنى بمصر عام ٢١ للهجرة .

والعباسيون أيضاً أنشأوا مساجد عدة أهمها مسجدىّ : عسكر ، وابن طولون .

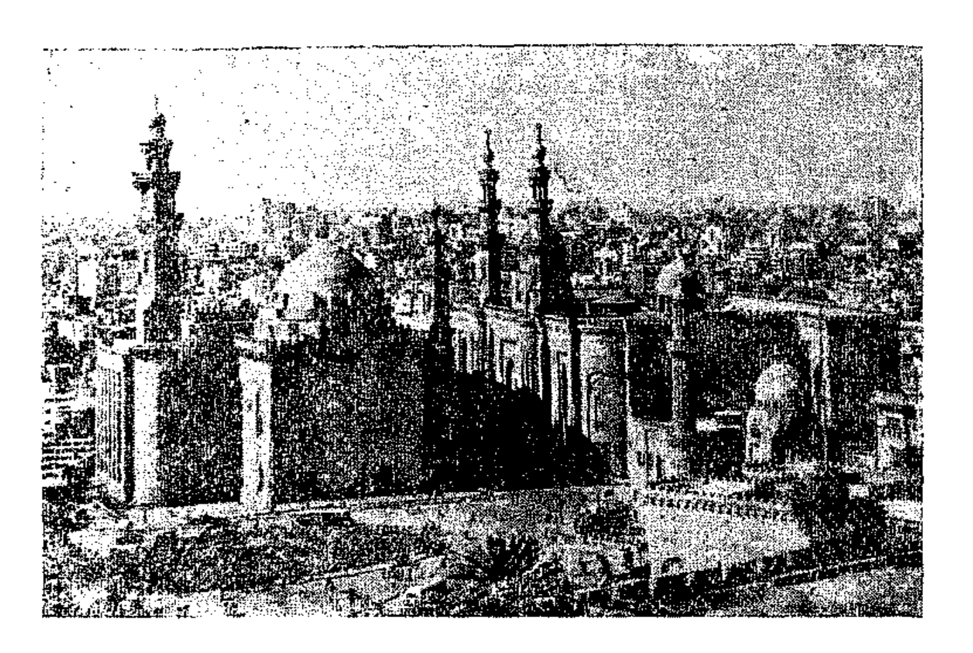
ومن مساجد القاهرة الأثرية أيضاً مسجدىّ : الإمام الحسين ، والسيدة زينب ـ رضى الله تعالى عنهما ـ وهما غاية فى الروعة ، والسعة ، والفن المعمارى الإسلامى ، كما أن هناك مساجد أخرى كثيرة لكبار الأئمة ، والتابعين لا فى القاهرة وحدها ، ولكن فى كل المدن المصرية .

* * *

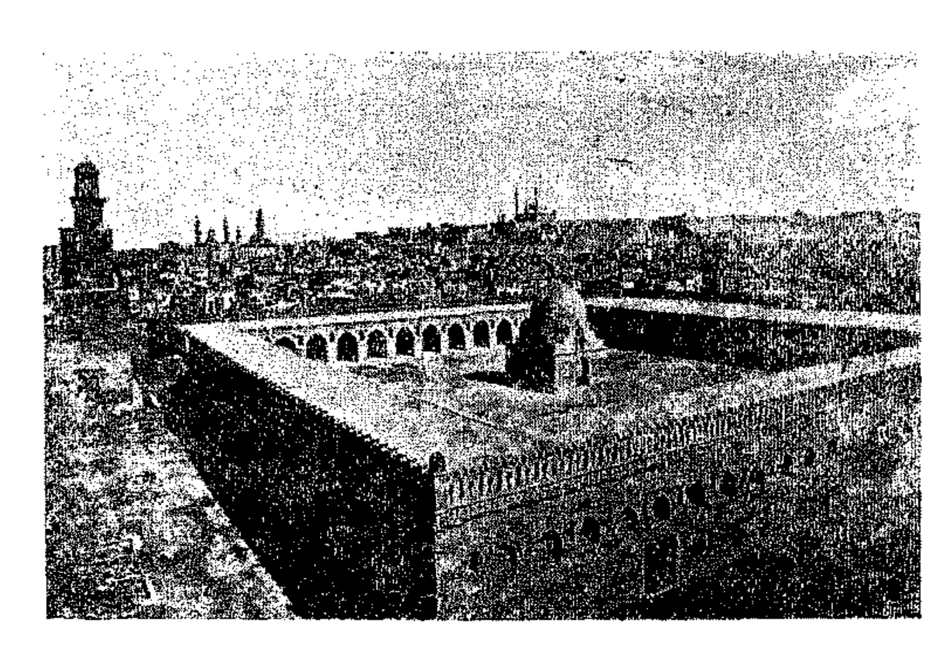
أما عاداتنا وتقاليدنا خلال شهر رمضان المعظم ، فهى عادات إسلامية خالصة يصورها لنا الدكتور حامد الخولى فى كتابه رمضان فى عصور الاسلام بقوله :

« والآن مازلنا نحتفل بموكب الرؤية : ففى التاسع والعشرين من شعبان يعقد احتفال يحضره رئيس الدولة أو من ينيب عنه ... وتنشط دار الافتاء فترسل من يرون الهلال بالمكبرات فى أعلى الأمكنة ، وتستشير المراصد ، وتتصل بالدول الاسلامية فاذا ثبت الهلال لديها أعلنت بدء رمضان ، وإلا أتمت شعبان ثلاثين يوما ، ثم ينشر الخبر فى الاذاعة والتليفزيون ، ويحتفل بالرؤيا احتفالا رسمياً .

وفى رمضان تزدحم المساجد وتلقى دروس الوعظ والارشاد ، ويتلوا القراء القرآن الكريم ، وتزدحم المساجد بالصائمين ، ولا سيما مسجد مولانا الحسين ، والسيدة زينب .



(مسجد السلطان حسن وجامع الرفاعى)



(مسجد أحمد بن طولون)

وتلمع البلاد بالاضواء ، وتظل ساهرة طوال الشهر بين قراءة قرآن ، وإقامة مآدب... وتفتح الدور والقصور ليقرأ فيها القرآن ، ولتستقبل الزائرين وتمد الموائد ... وتظل البلاد ساهرة حتى السحور ، وبعد السحور إلى صلاة الفجر ، ويدور المسحرون على النائمين ليوقظوهم للطعام ... وتعمل الاذاعة على إذاعة الشعائر الدينية حتى الفراغ من صلاة الفجر ... فى المدن والقرى ، وكل مكان تراويح ، وتسابيح ، وتلاوات ، ودراسات ، وإيمان وإطعام ، وكرم ، واحتفالات حتى إذا كانت ليلة القدر احتفلت بها الحكومة احتفالا رسمياً ، واحتفل بها الشعب ، وسهر الناس طوال الليل فى دعاء ، وضراعة ، وابتهال ... وهكذا الحال إلى أن يأتى عيد الفطر » .

* * *

كانت هذه صورة لعاداتنا وتقاليدنا ، واحتفالاتنا بقدوم شهر رمضان المعظم وبلياليه الكريمة ... وإذا ما تركناها جانباً ، وجدنا احتفالات أخرى كثيرة فى كل مناسبة إسلامية كالمولد النبوى الشريف ، وليلة الاسراء والمعراج وليلة النصف من شعبان ، والاحتفال برأس السنة الهجرية .

وتلك هى مصرنا الحبيبة محط أنظار العالم العربى والاسلامى ، مركز الاشعاع للفكر العربى المتحرر ، والدعوة الاسلامية الخالدة ؟

وبعـــد :

تلك بعض الحقـائق ، والمشاهدات التى استشعرناها من رحـلاتنا القرآنية ، التى عشنا خلالهـا بين إخوة لنا جمعتنا وإياهم تلك العقيدة السمحة ، وذلك الدين القيم — خاتم الأديان جميعاً . . . ألا وهو الإسلام ، به أُخرج الناس من ظلمات الكفر والضلال إلى نور الهداية والرشاد .

ووقفنا بكم من خلال تلك الرحلات أيضـاً على أهم العـــادات والتقاليد المتوارثة التى تميز كل بلد عن الآخر ، وطرق الاحتفالات بليالى شهر رمضان المعظم — شهر النور والخيرات .

أخى القارىء الكريم :

لعلنا بهذا الجهـد المتواضع قد عرّفناك ببعض البـلدان التى تسمع فيها كلمة « لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله » .

وصدق قوله — صلوات الله وسلامه عليه :

« أفضل الصدقة أن يتعلم المرء المسلم علماً ثم يعلمه أخاه المسلم » .

(صدق رسول الله)

المراجـع

١ ـ القرآن الكريم

٢ ـ التاج الجامع للأصول فى أحاديث الرسول ﷺ

٣ ـ المستطرف فى كل فن مستظرف — أحمد شهاب الدين أحمد

٤ ـ اعداد من مجلة نهضة أفريقية

٥ ـ القاموس الإسلامى — أحمد عطية الله

٦ ـ معجم البلدان — ياقوت الحموى

٧ ـ بلوغ الارب فى معرفة أحوال العرب — الألوسى

٨ ـ تاريخ الإسلام — حسن ابراهيم

٩ ـ باكستان — محمد أيوب خان

١٠ ـ أعداد من جريدة الجمهورية — (الملحق الدينى)

١١ ـ لبنان — (كتب سياسية)

١٢ ـ دول إسلامية فى الشمال الأفريقى — عبده بدوى

١٣ ـ اليمن — حسن ابراهيم

١٤ ـ السودان الشقيق — ابراهيم الأسيوطى

١٥ ـ دفاع عن أفريقيا — عبد العظيم محمود

١٦ ـ مناسك الحج — عبد الرحمن أمين

١٧ ـ جوموكينياتا — نبيل بدر

١٨ ـ المعجب فى تلخيص أخبار المغرب — عبد الواحد المراكشى

١٩ ـ الفتح العربى للعراق وفارس — محمد فرج

٢٠ ـ الإسلام فى المشارق والمغارب — جمال الدين الرمادى

٢١ ـ هذه هى أندونيسيا — قهر الدين يونس

٢٢ ـ سنغافورة	محي الدين فوزى
٢٣ ـ الإسلام فى أفريقيا	عبد الواحد الامبابى
٢٤ ـ نظرات فى الميثاق	(مصلحة الاستعلامات)
٢٥ ـ الجزائر	(كتب سياسية)
٢٦ ـ من سير علمائنا المسلمين	جمال الدين الرمادى
٢٧ ـ أضواء على تحرير الجزائر	(إدارة التوجيه المعنوى)
٢٨ ـ أعداد من مجلة منبر الإسلام	

(كانت مشاهداتى هى المصدر الأول والأخير)

كتب للمؤلف

كتب طبعت :

١ ـ مع القرآن الكريم (ثلاث طبعات)
٢ ـ أحسن الأثر فى تاريخ القراء الأربعة عشر
٣ ـ السبيل الميسر فى قراءة الإمام أبى جعفر
٤ ـ معالم الاهتداء إلى معرفة الوقف والابتداء
٥ ـ الفتح الكبير فى أحكام الاستعاذة والتكبير

تحت الطبع :

١ ـ نور القلوب فى قراءة الإمام يعقوب
٢ ـ حسن المسرة فى الجمع بين الشاطبية والدرة
٣ ـ النهج الجديد فى علم التجويد

الفهرس